

جَمَالِيَّةُ بِنْيَةِ النَّصِّ

كِتَابُ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عليه السلام إِيْشْرَافِ الْبَصْرَةِ اخْتِيَارًا

د. حيدر محمود شاكر

haider.shakir@uobasrah.edu.iq

جامعة البصرة - كلية التربية - قسم اللغة العربية

مؤتمر كلية التربية عام 2011 م

المُلخَص:

تعتمد هذه الدراسة التحليل التأويلي في رصد علاقات التوافق الجمالي وكشفها في بنية الإيجاز؛ بوصفه مركز تبئير الدلالات في بوتقة آفاق انتشارها بين خلايا كيمياء هندستها ، مع شفرات تشكّل تراتب بنى هيئة تركيب النص بتداخلات بنيته ، بصبغة أطر رؤية المنشيء المنصهرة في آلية إنتقائه أدبية اللغة وملازماتها الفنية ، إذ إنّ النصوص المتعالية والإستثنائية ؛ القرآن الكريم ومنطوق الوحي ومنبع العلم اللدني مكتنزة بالذي ندرسه ، جعلت إختيار كتاب الإمام الحسين عليه السلام أنموذجاً.

مدخل في وظيفة الإيجاز الجمالية :

يعدّ الإيجاز ركيزة مهمة من ركائز دلالات جمالية بنية النص ، إذ يحتل البؤرة التي تتبلور حولها إنبعثات دلائل معاني الرسالة التي يروم المنشيء إيصالها إلى جمهوره ومتلقيه ، تبعاً لإعتبارات مقامه تحتمها أطر الظروف المحيطة به بحسب بعدها الإجتماعي والسياسي والإقتصادي ، وما يلحق بها من مداخلات نفسية وزمكانية عند موقف مقامه الحالي نفسه الذي يتلابس معه ، ممّا يحدو به إلى اللجوء للخزين المعرفي وثرائه اللغوي ، واستقراء أحوال ما يدور حوله على وفق تلك الإعتبارات ليجسّد هذا بتوظيف الإيجاز بأبهى صورة وأحلى تشكيل ، ويرسم به عن طريق متعارفات متلقيه

التكامل الجماليّ عبر إيصاله بأسرع وأقصر وأوجز معاني ودلالات وألفاظ وجمل وتراكيب إلى أذهانهم كلّ بحسبه أي جعل ((كلام الأوساط على مجرى متعارفهم في التأدية للمعاني فيما بينهم))^(١).

ولقد كان الإيجاز موضع إعجاب متواتر في التراث العربيّ، إذ قيل فيه الكثير عن ((قيمته وارتباطه بتكوينات الكلام، واختراقه للسمع، وقدرته على البقاء، وسط كلام كثير يجيء ويذهب ويُنسى..[حتى] تبدى الإيجاز آية الترفع عن مستويات كثيرة من الثثرة والتفصيلات...))^(٢)، وعلى وفق هذه النظرة تظهر وظيفة الإيجاز لنا في ((توضيح الفكرة بأيسر عبارة وأقرب طريق...))^(٣)، حتى أصبح قاعدة البلاغة بل تجلّى البلاغة نفسها، وقد بيّن هذا أكثم بن صيفي الذي يرى أنّ ((البلاغة هي الإيجاز...))^(٤)، فهو إذاً حقيقتها الجوهرية التي تأمّن معه وجودها من حيث البلاغة في بُعدها الوظيفيّ (مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته)*، إذ إنّ ما يُشكّل آليّة وظيفتها ثلاثة عناصر: (أ)المطابقة، و(ب)مقتضى الحال، و(ج)الفصاحة، وكلّها تستدعي الإيجاز حال إشتغالها!، باختزال الألفاظ واقتصاد الجمل واقتطاع التركيب وحذف يطال أي جزء في بنية النص، أو باللمح الدالّ المفضي إلى الاختصار^(٥)، أو بانتقاء الإشارة إلى المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل^(٦).

وبحسب هذا التفاعل الوظيفيّ بين جوهر الإيجاز وغائية البلاغة فهما يشكّلان تداخلاً جماليّاً في هندسة بنية حياة النّص، بفعل نتيجة غاية هذا التوظيف في تكثيف التفصيل والجزئي في دوال مضغوطة.

١ - الإيضاح في علوم البلاغة : ص ١٧٠.

٢ - اللغة والتفسير والتواصل : ص ٢٨١.

٣ - تاريخ الأدب العربي - صدر الإسلام وعهد بني أميّة - : ص ٨٤.

٤ - معجم المصطلحات البلاغية وتطوّر ها: ج١، ص ٣٤٤.

* مشهور لا يحتاج إلى التوثيق.

٥ - نفسه: ج١، ص ٦٨ و٦٩، و٧٣ وما بعدها، وينظر : المصطلح النقدي في نقد الشعر : ص ١٢٧.

٦ - معجم البلاغة العربية، د.بدوي طبانة: ج٢، ص ٩٢٣.

وعليه فإنَّ الوظيفة الجماليَّة التي يؤدِّيها (الإيجاز) من حيث ما تتمتع به البنية النصِّيَّة ذات الوقع السريع على ذهن المتلقي من جهة، وبوصفها بؤرة تجمع أطر مكوّنات النصّ نفسه وقضاياه في تراتبٍ بنائيَّة شرائح الدلاليَّة المكثّفة - بفعل آليَّة الإيجاز- على استقطابٍ خلد القارئ واستيعاب ذهنه أيضاً.

إذ تَبْدَأُ الوظيفة الجماليَّة له حركتها وتُباشِر نشاطها على وفق حاجة المنشيء بحسب مقامه وحاله ونحوهما، تُجاه أداء التبليغ الدلاليّ لمضمون الرؤية الراهنة عنده إلى المتلقي إيماناً منه بإشراكه بما يهمُّه في عملية تناقل الرسالة الملقاة على عاتقه لتجاوبها تقويماً وتعديلاً وهُدًى في سبيل رقي التأمّل وتقدّمه في تعميل المنظومة الفكريَّة لإكتشاف مراكز تبئير معاني النصّ ودلالاتها. وملجأ المنشيء في هذا كلّهُ هو أقصر العبارات وأغناها معنىً في قدح شرارات الجماليّ وظيفيّاً ودلاليّاً وإبلاغاً لتلك الرؤية التي يرجو دفعها لقرائه، على وفق سياق منظومتهم الديالكتيكيَّة في إقامة المعاني فيما بينهم^(٧). ليتحقّق الاندماج النفسيّ والوجدانيّ^(٨) والإشراك الإنفعاليّ أيضاً.

وقد تنبّه الزمخشريّ إلى جماليَّة الإيجاز فعده حلية في أثناء تلقيه إيجاز القرآن المعجز، فقال إنّ: ((الإيجاز من حلية القرآن الكريم...))^(٩)، إذاً هو زينة تعطي متقلّدها جماليَّة ظاهرة أنيقة لجسد النصّ مع إنعكاس المُبطّن الذي تضمّره روحه، ومن ثمّ تتجلّى ((القيمة الذاتية))^(١٠) له في رسم ملامح البنية بوصف منحها تماسكاً ورونقاً خاصاً متناسباً وطبيعة إعتمال الموضوع والمناسبة التي يُوظّف لأجلها حتى يصل بأحملى اشتعال جماليّ إلى بطون جمهوره وأذهانهم، من خلال ما يقوم المنشيء به من (تحويل المعلومات الجديدة إلى إشارات عبر ترتيب الكلمات ونبر الأصوات وتحويل الأسماء إلى

^٧ - ينظر: تأصيل الأسلوبية في الموروث النقديّ والبلاغيّ (رسالة): ص ٤٩ .

^٨ - ط : خصائص التركيب - دراسة تحليليّة لمسائل علم المعاني - : ص ٧٩.

^٩ - الكشف : ج١، ص ٢٢٤.

^{١٠} - اللغة والتفسير والتواصل : ص ٢٨١.

الضمانر ويكون إبراز معنى الموضوع أو التغيير فيه من خلال الهاديات اللغوية السابقة بحسب اكتمال الفكرة (١١).

فبعدما يؤدي المنشيء إيصال فكرته الرؤيوية في بيان رسالته تجاه متلقيه ليفهمه إيّاها واسطة تلك الإشارات والإلماحات والإختزالات في بنى التركيب وألفاظه عبر مُخطّط يكونه لمعالجة معنى النص ((كافتراضات مترابطة في نظام هرمي تشتمل فيه العبارات الخبرية على الموضوعات الرئيسة ويسمى هذا التنظيم بـ(جذر النص))) (١٢)، الذي يعدّ الجوهر الأساس والقطب الرئيس في تشظي دلالات البنية المركزية والهامشية.

وعليه فإنّ ظاهرة الإيجاز، تُشكّل جزءاً من محيط الجدل الذي بآن في بعض مراحل التطور اللغوي (١٣)، إذ جسّد ركيزة كبرى في حقل جمالية الثقافة اللغوية الذي بدوره يتطلب إحساساً تأملياً وشعوراً تأويلياً. بكونه يستحيل الخطاب البنيوي من مستواه اليومي إلى تركيبه الفني الأدبي الجمالي لإستيعاب المنظومة التأويلية في استقطاب سُوس* النصوص التي ترمى بالمتعالية أو الاستثنائية (١٤).

نظرة عامة في إيجاز نثر الإمام الحسين عليه السلام :

إنّ الذي يتأمّل نثر الإمام عليه السلام مُدقّقاً ، وفي بنيات نصّه - من حيث أنماطه كلّها - مُنقّباً مُطبّقاً ، يجد أنّ ظاهرة الإيجاز مهيمنة على نثره الشريف كلّهِ ، وكيفية هندسة بنائه المتجسّدة فيه توظيفاً جمالياً ، من حيث آليات الإنتقاء لوحداث البنية وجزئياتها ،

١١ - سيكولوجية اللغة والمرض العقلي : ص ٧١.

١٢ - نفسه والمكان أنفسهما.

١٣ - ينظر : نفسه : ص ٢٨٢.

* السُّوسُ بالصّمْ : الطَّيْعَةُ والأَصْلُ والخُلُقُ والسَّجِيَّةُ .

١٤ - ظ : المستويات الجمالية في نهج البلاغة : ص ١٢٧.

* كتاب سيبويه ليس بأفضل من كلام المعصوم (ع) عندما وسموه بـ(قرآن النّحو) .

وسيلحظ إشعاعات إيجاز القرآن واضحة متعمقة فيه ،وصيغه متجلية متلبسة على هياة بنياته أيضاً ، ومن ثم سيري هو بحق أنه قرآن الإيجاز !.*

ونادراً ما كان يطيل بنية نص نثره ، إلا لضرورة يستدعيها (مقام) حاله ، وظرف (قول) أنه ، كإجابته في صغره ، عندما سئل عن معاني أصوات الحيوانات ^(١٥)، إذ بلغ طول سعة نصّه أربع أطراس ، نورد مقطعاً منه ، ((إِذَا صَاَح النَّسْرُ، فَإِنَّهُ يَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ! عِشْ مَا شِئْتَ فَأَخِرْهُ الْمَوْتُ. إِذَا صَاَح الْبَازِي، يَقُولُ: يَا عَالِمَ الْخَفِيَّاتِ، يَا كَاشِفَ الْبَلِيَّاتِ، وَإِذَا صَاَح الطَّائِفُ يَقُولُ: مَوْلَايَ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاغْتَرَرْتُ بِزِينَتِي فَأَغْفِرْ لِي. وَإِذَا صَاَح الدَّرَجُ يَقُولُ: الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى. وَإِذَا صَاَح الدِّيْكُ يَقُولُ: مَنْ عَرَفَ اللَّهَ لَمْ يَنْسَ ذِكْرَهُ. وَإِذَا قَرَقَرَتِ الدَّجَاجَةُ تَقُولُ: يَا إِلَهَ الْحَقِّ أَنْتَ الْحَقُّ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ يَا اللَّهُ يَا حَقُّ. وَإِذَا صَاَح الْبَاشِقُ يَقُولُ: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ. وَإِذَا صَاَحَتِ الْحَدَاةُ تَقُولُ: تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ تُرْزَقْ. وَإِذَا صَاَح الْعُقَابُ يَقُولُ: مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ لَمْ يَشَقَّ. وَإِذَا صَاَح الشَّاهِينُ يَقُولُ: سُبْحَانَ اللَّهِ حَقًّا حَقًّا ...)).

إذ انفرد ~~القرآن~~ به عن العالمين جميعاً بما فيهم سائر المعصومين عليهم السلام ، لهو من النواذر والأعجوبات !.

وكذا خطبته في منى ^(١٦)، التي اتّسمت بالحوارية في تحذيره المسلمين من إمارة يزيد الفاجر ، وصل نصّها أربع صفحات خطابية ، إلقاءً للحجّة ، وإعداداً للنصرة والنهضة.

وكذا الحال عند قوله في عداوة اليهود لله ولرسله وأنبيائه وإخلافهم العهود ^(١٧)، الذي بلغ سبع أطراس. وكذلك في بعض أدعيته كدعاء (العشرات) ^(١٨)، إذ وسع ثلاث صفحات. ودعائه يوم (عرفة) ^(١٩)، فتجاوز ست عشرة صفحة.

^{١٥} - ظ : تفسير كنز الدقائق : ج١ ، ص ٤٧ ، وتنتظر : موسوعة كلماته : ص ٤٧ .

^{١٦} - تنتظر : موسوعة كلماته : ص ٣٣٠ .

^{١٧} - ظ : نفسها : ص ٦٥٣ .

جمالية بنية إيجاز نثر الإمام الحسين عليه السلام :

إنَّ جمالية البنية لإيجاز نثره ، إنمازت بالتلون الأسلوبيّ من حيث تجنيد المؤكّدات قبال المحذوفات بتعاقد بين المعطوفات والإضافات على مستوى الأدوات والجمال والمفردات والتراكيب المتنوعة من جانب ، وعلى مستوى توظيف الغائيات البلاغية التي تسند إيجازه من جانب آخر ، وتعقد احتمالات استيعاب رؤيته الموضوعية للهدف الرئيس الذي من أجله كوّن بنية إيجاز نثره إبتغاء إيصاله إلى جمهوره ومتلقيه إذ ألبسه لباس التكثيف ، والجمع التركيبيّ من خلال ضغط خلايا الرؤية المتاحة في مضمون أفكاره مع بنية تشكّل نصّه النثريّ ، الذي بدوره يوسّع مركز تبئير تشظي الدلالات الإحتمالية^(٢٠) نحو قارئه فتحدث عنده انفعالات جمالية ، تزامناً مع الإنفلاق الدلاليّ الذي يحويه اقتصاد التركيب ، وومضة شفرة الدلالة المتحولة من البنية الإيجازية السطحية ، انصهاراً مع دائرة تبلور دلالات المعاني في مضمون البنية العميقة.

ومن ثمّ تتأصّر تلك المؤكّدات وما يجاورها من معطوفات وإضافات وثنائيات متقابلة في الإشتراك وعند التضاد ، متماسكة مع دلالة الأفعال بتراتب تركزها البنائي في التركيب الذي تحتمه طبيعة الرؤية في إفرازاتها الشرائحية المنعكسة من الأفكار والمواقف التي ولدت لمشكلة من المشكلات أو لخاطرة من المخاطر أو لهاجس من الهواجس وبحسب السبب أو المسبب في ولادة هيأته البنيويّة ، وصورة تأثراته البنائية الإيجازية.

إذ إنّ سمة بنية إيجاز نثره عليه السلام يسودها التنويع والتعدد والتشعب في التوظيف الآلي لمكونات البنية ، ونعني بالتنويع ؛ هو إيجاز نثره ذو بنية مترابطة في نسق اشتغالها الجماليّ على نظام تراصف حقول شفرات وحدات البنية الكلية للنصّ كلّ. وعلى وفق

^{١٨} - ط : نفسها : ص ٩٣٧ .

^{١٩} - ط : نفسها : ص ٩٤٦ .

^{٢٠} - ينظر : الأسلوب والأسلوبية : ص ٧٤ .

القرينة السياقية للوحدة المقطعية ، أو بحسب ترابط القرآئن السياقية التي بلورت كيمياء كبكة الدلالات الموحية إشارياً وتلميحياً ، ومن ثمَّ يتأتى اكتمال الفكرة مكثفاً مشحوناً بالمعاني التأويلية الإحتمالية المستهدف وصولها بعلائق دلالاتٍ ناقليةٍ لها إلى منظومة المتلقي الفكرية ، يقوم بتحليلها تأويلياً وعندها يصدر استجابة لها بفعل استيعابه لأحد احتمالات تشظي الدال الأسرع إنجذاباً في نقطة تقلب جدلية الوصل والفصل بين الذات والموضوع^(٢١) الذي قصد استقباله واستقطابه لعلمه تلك الإحتمالات التفسيرية للمعنى الموجز بنائياً الذي احتضنته هذه السعة الأسلوبية ((لكثرة المعاني وقلة المباني))^(٢٢).

لذا فإنَّ القارئ لنثر الإمام الحسين عليه السلام سيجده عبر قراءة متفحصة ، ونظرة دقيقة أنَّ نصوصه قد تفاوتت في درجة إيجازها قصراً وتوسطاً ، من حيث تشكلات البنية وتكويناتها من جانب ، ومن حيث توظيف الإمام لطاقات الإيجاز بمستوياتها اللغوية والبلاغية والتركيبية وأبعاد بورها الدلالية ، وشفراتها اللفظية ، وصورها الصوتية كلّها من جانبٍ آخر.

وبَعْدَهَا يُحَسُّ بجمالية بنية إيجاز نثره قد اخترقت فلكه العقليّ ، وتوغّلت وجدانه القلبيّ ، وشعوره الروحيّ ، وقد أسست في كيانه إندهاشاً وتأثراً من دون أن تطرق باب فؤاده أو تستأذن جنانه ، بوصفها خَلَقَ إمامٍ يخاطبُ ضمير الإنسان وقلبه المتعطش للهدى وللرشاد ، قبل محاورة وجوده المادي والتكويني المنغمس في شهوات لذّات الدنيا.

التحليل التأويلي الجمالي لبنية إيجاز كتابه عليه السلام إلى أشرف البصرة:

^{٢١} - ينظر : التلقي للصحيفة السجادية (رسالة) : ص ٦٤ .

^{٢٢} - التكوين الجمالي - الصورة ومصادرها في قصيدة الخنساء - (بحث) : ص ١٣١ .

إذا جننا ولوجاً في رحاب كتابه الذي أرسل به رسوله إلى أصحابه من شيعته الخُص، ونحن متأملين تداعيات إنبثاقه إليهم ، التي كانت خلاصة رؤيته ، إذ تتدرج في الأسباب الآتية :

- أ - تفاقم الانحراف وسريانه في بيضة الإسلام ، وانتشار الفساد والفجور في جسد الأمة الإسلامية في ظل دولة بني أمية (٢٣).
- ب - أخذ معاوية في أخريات أيامه البيعة من الناس بالقوة لابنه يزيد ظلماً وجوراً ، وطلب من الإمام الحسين عليه السلام بمبايعته فرفض ممّا أدى إلى إرساله العسس خلف الإمام لإغتياله في المدينة ، وكان هذا سبباً في هجرته إلى مكة المكرمة سرّاً ! (٢٤).
- ج - ومن مكة أرسل كتابه سرّاً عن عيون يزيد بيد رسوله إلى أصحابه بنسخة واحدة وطلب الإمام منهم الكتمان والسريّة به ، فكل من قرأه كتمه ! (٢٥).

فالنظرة التأملية لهذه التداعيات مع طبيعة تشكّل بنية إيجاز نصّه من خلال تتبعنا وتحسّسنا علاقات الوظائف التوافقية الجمالية التي تؤديها البنية بما تحمله من تناسق لبنيات تركيبه وتراتبها في المستويات المكوّنة لها ، ستتجلّى جماليته البديعة بتأصر عناصرها. إذ رسمت هي الأخرى تعاضدت الدلالات لتلك الرؤية المجسّدة لمتطلبات السياق المقامي والمضموني معاً صورتها مع البنية نفسها الحاملة لها. ونصّ كتابه المُرسَل إلى الأشراف هو الآتي :-

{...أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مُحَمَّدًا ﷺ عَلَى خَلْقِهِ ، وَأَكْرَمَهُ بِنُبُوَّتِهِ ، وَاخْتَارَهُ لِرِسَالَتِهِ ، ثُمَّ قَبَضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ، وَقَدْ نَصَحَ لِعِبَادِهِ ، وَبَلَغَ مَا أُرْسِلَ بِهِ ﷺ ، وَكُنَّا أَهْلَهُ وَأَوْلِيَاءَهُ وَأَوْصِيَاءَهُ وَوَرَثَتَهُ وَأَحَقَّ النَّاسُ بِمَقَامِهِ فِي النَّاسِ ، فَاسْتَأْثَرَ عَلَيْنَا قَوْمَنَا بِذَلِكَ ، فَرَضِينَا

٢٣ - ظ : حياة الإمام الحسين بن علي عليه السلام - دراسة وتحليل - ج ٣ ، ص ٢١ .

٢٤ - ينظر : صفحات من تاريخ كربلاء : ص ٢١٨ . و ظ : مقتل الحسين عليه السلام / السيد المقرّم : ص ١٣٨ وما بعدها .

٢٥ - ظ : نفس المهوم : ص ٨٤ . و ظ : موسوعة أنصار الإمام الحسين : ج ١ ، ص ١٧٣ .

وَكَرِهْنَا الْفُرْقَةَ وَأَحْبَبْنَا الْعَافِيَةَ ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ أَحَقَّ بِذَلِكَ الْحَقِّ الْمُسْتَحَقَّ عَلَيْنَا مِمَّنْ تَوَلَّاهُ ؟! ، وَقَدْ أَحْسَنُوا وَأَصْلَحُوا وَتَحَرَّوْا الْحَقَّ فَرَحِمَهُمُ اللَّهُ وَغَفَرَ لَنَا وَلَهُمْ .

وَقَدْ بَعَثْتُ رَسُولِي إِلَيْكُمْ بِهَذَا الْكِتَابِ ، وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ ، فَإِنَّ السُّنَّةَ قَدْ أُمِيتَتْ وَإِنَّ الْبِدْعَةَ قَدْ أُحْيِيَتْ ، وَإِنْ تَسْمَعُوا قَوْلِي وَتُطِيعُوا أَمْرِي أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ... } (٢٦) .

إِنَّ هذه الأجواء الحرجة العامة المحيطة بالإمام وشيعته آنذاك ، جعلت سماء لحظة تقييد كتابه متلبدة بـ (السرية) المطلقة جداً ، حدَّ أنها استحالَتْ مُظلمة بسواد (الكتم) و (الكتمان) في رابعة النهار...! ، إذ ألقيا بظلالهما على كتابه ﷺ فكانا مهاداً رحباً تبلورت فيه تكوينات بنية الإيجاز في النص كلاً ، حتى أنه تجلَّى كتلةً موحدةً جسدت ما يستدعيه المقام القولي والحالي بظروفه كلها ، فاصطبغت البنية بـ (الإيجاز المكمم) بفعل هيمنة السرية والكتم معاً عليه.

إذا ألقينا على بنيته الإيجازية نظرتنا التأملية التحليلية التأويلية الجمالية سنكتشف الآتي :-

إِنَّ الإمام أرسل كتابه إلى شيعته من أشرف البصرة ، وقد خلا من ذكر الإستهلال المتعارف عليه يومئذٍ من دون ذكر البسملة ، واسمه المباركين أيضاً ، ليلفت إنتباههم ويشد أذهانهم (٢٧) ، ليعلمهم بالظرف الإستثنائي وحساسيته الذي يمرُّ بأمة الإسلام إلى مستوى خطرٍ جداً أولاً ، وبحاله التي أحاطته في أثناء تدوينه ثانياً ، ليفصح مضموناً سيميائياً عن دلالة مضمرة تشكّل مفتاحاً معنوياً تترشّح منه دلالات المعاني المبنوثة في بنية إيجازه العامة ، فيفكُّ متلقّوه مغاليق احتمالات أفكار بُعدِ غرضِ الموضوع الرئيس في البنية ، التي تحوم حول بؤرة الدلالة المركزية ، فلقها كلها الإستهلال المحذوف ، الذي يعبر عن سعة انحراف الأعراف والقيم والتقاليد ، ويكشف تخوّف الإمام ﷺ على كتاب الله وسُنَّة جده ﷺ وإسلام أُمَّته ، ويعلن براءته على أفعال بني أمية بقريضة رفعه البسملة

^{٢٦} - تأريخ الطبري : ج ٣ ، ص ٢٨٠ . موسوعة كلماته : ص ٣٨٣ ؛ و مقتل الحسين ﷺ تح / السيّد المقرّم : ص ١٤١ .

^{٢٧} - ينظر : جماليات المقالة عند د. علي جواد الطاهر : ص ٨٧ .

من بنية كتابه ، كما أعلن الله البراءة في سورة التوبة على المنافقين والكافرين والمشرّكين^(٢٨).

ابتدأ نصّ كلامه ودخله مباشرة بـ(أَمَّا بَعْدُ) التي تفيد الأسلوب التركيبي المستأنف معنى فصل الخطاب لشيء لا يُحتمل تجاوز خط شرع الله فَعَمِدَ إليها ليفصل بها بين الحقّ والباطل الذي استشرى ، وتعطي دلالة الدعوة لنصرة دين الله الإسلام. لذا نجده تالياً على هذا الأسلوب ومؤكّداً بالجملة الإسمية المشتملة على لفظ الجلالة (الله) التي وظّفها بديلة عن البسملة إذ يتقدم ذكر الله فيها مجاوراً لذكر الإصطفاء المحمّديّ ، لأنّ التأكيد جاء ليصدّق مرجعية الحقّ بتناسق هذا الترتيب من جانب ، ولأنّ هذا التأكيد بأداة التوكيد الأُمّ (إِنَّ) يفيد التماسك والائتلاف والسبّك بعدم الانقطاع بينهما، وبثبوت أزلية التواصل أيضاً، ويفرغ القول إفراغاً واحداً ، فيصير أخذاً يؤسر النفوس ويهزّها^(٢٩).

وهذا التوكيد أجرى إنزياحاً لعمدة الجملة : (الله) في قوله : (فَإِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ مُحَمَّدًا ﷺ)، بعدما كانت فعلية : (اصْطَفَىٰ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ)، إذ إنّ الإمام قدّمه على فعله ليعضد مركز التوكيد الابتدائيّ في رتبته التركيبية ﷺ بأنّ (الله) هو الإبتداء قبل الإصطفاء فضلاً عن موضع الاختصاص به وبالاختيار وبالتعيين له ﷺ ، فهو الأوّل الذي لا أوّل قبّله ، إذ اصْطَفَىٰ مُحَمَّدًا فصار مَظِنَّةً قرب الله في تراتب الجملة المؤكّدة بفعل الإصطفاء نفسه ، وأكّد الإمام هذا الترتيب بشبه الجملة المتعلقة به تعالى (عَلَىٰ خَلْقِهِ) إذ إنّ الإضافة بالمضاف (خَلْق) أكّدت الإصطفاء للنبي ﷺ ولم يذكر الإمام من هم الخلق لعلّة إفادة العموم والشمول والإطلاق والإستغراق للخلق كلّهم ، وأمّا بالمضاف إليه (الهاء-هـ) فحصرت فعل الإصطفاء له وحده تعالى بقرينة ملازمة التعلّق به ، ليدل هذا النسق التراتبي دلالة الحصر التركيبي والقصر أيضاً ، وإشارة لأهمية حدث الفعل التأييديّ.

إنّ هذه الإضافة هي الرئيسة المتصدّرة في كتابه بآلية توظيفها العلائقيّ بالله ﷻ حتى انفلقت فشكّلت إضافات متصلة الضمير الدال إلى قرينة المتعلّق به. إذ توزّعت بين

^{٢٨} - ينظر : تفسير الفخر الرازي - سورة التوبة - : ج ١٥ ، ص ٢٢٣ وما بعدها .
^{٢٩} - ظ : التراكيب اللسانية في الخطاب الشعري القديم : ص ٤٨ .

مدلولين جَمَعَهُمَا الالتفات دلاليًا. وبأداة العطف وحرفه نلاحظه عطف أحدهما على الآخر تقديمًا وتأخيرًا ، لإفادة التلازم والملازمة والإرتباط الوثيق الذي يقهر من أراد الوصول إليه إِلَّا قُذِفَ بشهاب ثاقب...!.

وهذا البناء المتلاحم الذي جنّده الإمام عليه السلام لِيُجَدِّرَ التأكيد الشديد الذي يُبْعِدُ شُبَهَ الشك والتردد وعدم الإطمئنان عند الآخر - المتلقي ، وفي البرهنة نفسها يقوّي إيمانه وثقته بعمق الإرتباط من قريب رحمة الله ونبوة الرسول ﷺ ، و فوق تثبيته وتوكيده هذا فقد عزّزه وأصره وقوّاه بالإفراد اللفظي الذي جاء في السياق نفسه بالأفعال الدالة إلى خصوصية الفاعل الواحد أو المؤشّرة إلى المفعولية والمعمولية الواقعة على من اتصل به ذلك الفاعل وهو الله الذي تجسّدت فيه هذه الإعتمالية الدالة إلى الضمير العائد إليه هو النّبي بدءًا بالأفعال المختصة بفاعلية (الله) = (اصطفى - أكرم - اختار - قبض) وكلّها جاءت متعاطفة على بعضها فدلّت إلى أنّ المعطوف لهو الأصل والقاعدة ^(٣٠) ، بقرينة دلالاتها إلى الحدوث والتجدّد ^(٣١) ؛ أو المسندة بفاعلية النّبي (محمّد) = (نصح - بلّغ) بحسب المطلب السياقي ، الذي أعطى جمالية اندماج متلقيه في متابعة سلسلة موارد مضمون بنية كتابه ، أمّا الفعل (أُرْسِلَ) فهو المنفرد بالبناء للمجهول من بين أفعال القسم الأوّل التي وظّفها الإمام عليه السلام وغاية إنفراده تظهرها علاقته بالفعل (بَلَّغَ) مضعّف العين الدال إلى الكثرة والمبالغة فيها ؛ مقترباً بدلالة التعظيم للذي لم يصرح به - الاسم الموصول - أرسله الله إليه وأدّى تبليغه ، إذ قام الإمام بحصره تراتبيّاً في تركيب الجملة: (وَبَلَّغَ مَا أُرْسِلَ بِهِ ﷺ) بينها ليكون إشارة رمزية لأصحابه إلى قول الله تبارك اسمه: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ ^(٣٢) ، هدفاً من الإمام في إبقاء أصحابه تحت ظلال القرآن ، وليجعلهم عاملين بأحكامه ، متّبعين أوامره ، مجتنبين نواهيه ، عارفين منه الحقّ وأهله ، فما أحلاه من تكثيف...!.

^{٣٠} - ينظر : دلائل الإعجاز - باب الفصل والوصل - : ص ٢٤٤ .

^{٣١} - ظ : الخطاب الحسيني في معركة الطف : ص ٥٧ .

^{٣٢} - المائدة : ٦٥ .

ومن ثمّ نراه يعدل من صيغة الإفراد بإلتفاتِهِ إلى خطاب الجمع في قوله: (وَكُنَّا أَهْلَهُ وَأَوْلِيَاءَهُ وَأَوْصِيَاءَهُ وَوَرِثَتُهُ وَأَحَقَّ النَّاسَ بِمَقَامِهِ فِي النَّاسِ) بعطف الجملة المتصدرة على المتقدم كلّهُ ، لإقامة ترابط تأكيده في حال الإفراد الدال إلى عمق صلة المرجعية الإلهية بالنبوة وبهم (أهل البيت ﷺ) عبر تراكيب الجمل الإسمية المتسلسلة عطفاً بـ(واو العطف) اللاحقة بجملة: (وَكُنَّا أَهْلَهُ...) التي تحمل دلالة الثبات والدوام ^(٣٣) ، و(كُنَّا) هنا تامة مرتبطة بالزمن المستمر والحدث الثابت في تأكيده استمرارية الإمامة ، ولقد وردت في التعبير القرآني بهذا المدلول كثيراً ؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ ^(٣٤) ، وقوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ ^(٣٥) ، فضلاً عن الإضافة الضميرية التي أفادت الإثبات والتأكيد معاً في آن واحد بوصفها سمة رئيسة في أساس بنية إيجاز النص ، بعدما عمد إلى حذف المسند إليه الواقع مبتدأً ، وهو الضمير المنفصل (نحن) في الجمل الإسمية: (وَنَحْنُ أَوْلِيَاؤُهُ ؛ وَنَحْنُ أَوْصِيَاؤُهُ ؛ وَنَحْنُ وَرِثَتُهُ ؛ وَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ...) فحذفه يثير جمالية بديعة لا يعطيها حال ذكره ^(٣٦) ، لشده إنتباه المتلقي وإيجازه من عدم التكرار الذي يخلف ملالاً عنده ، ولأن دلالة (نحن) النحوية تحمل معنى الانفصال التركيبي فلا تقوّي المضمون الذي يقصده الإمام ﷺ ، ولم يكتفِ بهذا ؛ بل راح مؤكداً بالإضافة أيضاً بعودة الضمير إلى النبي ﷺ في أخبار الجمل المتعاطفة ، مشفوعاً بتكرار لفظ (النَّاس) مرتين ولكن بدلالاته الحصرية في وضع شبه الجملة المتصلة بالضمير العائد إليه (بِمَقَامِهِ - النَّبِيِّ) بينهما لتجسّد معنى خصوص أحقيتهم ، وليرسخ تأكيده حال الإفراد في ذهن المتلقي قبل إلتفاته الجمعي ؛ فوضع جملة: (وَكُنَّا أَهْلَهُ و.. و.. إلخ) بين قوله: (وَبَلَّغَ مَا أُرْسِلَ بِهِ ﷺ) وقوله: (بِمَقَامِهِ..) ليعبر هذا الحصر عن دلالة التبعية المعنوية في دائرة واحدة لا انفصال بينهما يتمثلان صوتاً واحداً هو (الحق) الذي يدمغ الباطل ، مع ما تضمّنته (الباء) من دلالة البدلية لتوكيد حقّ المقام لهم ، وتناسباً مع هذا التراتب التركيبي وتناسقه الدلاليّ بمتطلبات السياق الإيجازيّ منه ﷺ تناعماً مع ما أثاره التكرار من وقع خاصّ في ذهن المتلقي بفعل التوكيد اللفظيّ

^{٣٣} - ط: م. هـ. ٣٠ نفسه: ٥٨.

^{٣٤} - الأنبياء: ٥١.

^{٣٥} - القصص: ٥٨.

^{٣٦} - ينظر: في جمالية الكلمة: ص ٨٤. و ينظر: الخطاب الحسينيّ في معركة الطف: ص ٥٨.

الظاهر على إشتغاله صوت حرف (السين) من جرس جهوريّ يتجاوب ومقام الإثبات والإلتفات إليه.

وهذا التأكيد كلّ جاء الإمام به لكي يهیی ذهن القارئ في الوقت نفسه ، لشيء ذي أهمية كبرى وحساسة ، ثمّ لو لاحظنا أن الإمام كيف جاء بالتراتب التعاقبيّ الذي نجده بين العطف والإضافة إذ بتوظيفه إيّاهما جعلاً بنية نصّ كتابه متماسكاً ومتربطاً دلاليّاً مع مضمون التأكيد والسياق المقاميّ الذي يريد الإمام عبر سلسلة التعاطف بين صيغة الأفراد والإلتفات الجمعيّ وشبه الجملة ذات الضمير العائد إلى النّبي إنفرادياً والتي كما قلنا أفادت الحصر التخصيصيّ والتأكديّ في آن واحد.

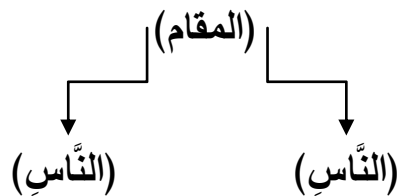
إذ إنّ علاقة العطف مع الإضافة علاقة تعاضد تركيبی ، من حيث إنّ العطف كلّ جاء على جملة اسميّة مؤكّدة بـ(إنّ) التي تفيد التماسك والإئتلاف ، وتهزّ المتلقي وتشدّه ، وهذه الإفادة أخذها العطف ليعضد تأكيد الجمل الحاصل مع طبيعة سياق المضمون ، أمّا الإضافة بمتعلقاتها كلّها ، فتجسّد التعالق بين أجزائها في جعل ثبوتية الأحقية (لأهل البيت ﷺ) قارة في خلد المتلقي وصولاً إلى الهدف الأسمى الذي شقّ له الطريق عبر هذا التأكيد المتناهي في العمق الذي يسدّ أبواب الشكّ ومشتقاته عنده ودفع أيّ حال تردّد يصدر منه في الحين نفسه (٣٧)، وهنا تظهر العلاقات الجمالية التي منحنتها الإضافة لبنية الإيجاز ، ولمضمون النصّ كلّ ، بوصفها تعدّ عنصراً مهماً من عناصر الإيجاز في الحركة الدلالية.

ومن ثمّ يورد جملة مفتاح الهدف بالفتحات صغير آخر ؛ وبصيغة الفعل المفرد الدال إلى الجماعة...!، في أعلى درجات (التكثيف) في قوله: (فَاسْتَأْثَرْنَا عَلَيْنَا قَوْمَنَا بِذَلِكَ) ليدل إلى بدايات سريان الانحراف بالأئمة عندما رضيت على من سلب مقام رسول الله ﷺ ظلماً وجوراً منهم ، حتى أنشب هذا الانحراف أظافره فيهم ، وهم لا يحبّون الفتنة.

والفعل (فَاسْتَأْثَرْنَا) تكتنز فيه جمالية الإيجاز كلّ بما تحويه من أبعاد دلالية اختزلت المواقف في المضمون كافة...!، بدءاً من (الفاء) التي تصدرت الفعل إذ إنّها العاطفة الفصيحة (٣٨)، عن المحذوف المقدّر الذي عطف عليه وتدلّ إليه ؛ وتقديره

٣٧ - ينظر : خصائص التركيب : ص ٢١١ .
٣٨ - ظ : المعجم الوافي في النحو العربي : ص ٢١٦ .

(طغى قومنا فاستأثر علينا) ، وهنا تتجلى دقة الإمام عليه السلام في التعبير الإيجازي ، إذ إنّه وظّفها لغاية في حذف المعطوف المقدّر (طغى) لعلّمه أنّها تفصح عنه لسريّة الموقف وحساسيّته تجاه الوضع المتأزم ، ولعلم أشراف البصرة به لأنهم شيعته ويواكبون الوضع نفسه ، ومن ثمّ فإنّ الدلالات المركزية لمضمون الهدف الرئيس الذي يتحدث عنه الإمام ألا وهو (الحقّ المغتصب) تجدّرت في الفعل نفسه بفضل اقترانها به ، ولأهمية تلازم موقعه التركيبي مع الجمل السابقة عليه ، وهي : (وَكُنَّا أَهْلُهُ ...إلى ، وَأَحَقَّ النَّاسِ بِمَقَامِهِ فِي النَّاسِ ، فَاسْتَأْثَرَ...) إذ جاء مباشرة من دون فصل بينهما ، لأنّه عليه السلام أراد أن يكون الفعل (استأثر) مركز تشظي الدلالات المتعدّدة للمحذوفات والمذكورات في بنية النص لأنّه هو نفسه المعني بأداء التعبير عن حجم المظلومية ، وسعة تفاقم الانحراف في الأمة الإسلامية ، بقرينة تعبيره : (أَحَقَّ النَّاسِ بِمَقَامِهِ فِي النَّاسِ) ، ولو دقّقنا النظر في التركيب نجد أنّه استعمل صيغة المشتق (أَحَقَّ) الدال على مصدرية التفضيل ، ومن ثمّ عبّر عنه مؤكّداً بالتوكيد اللفظي - كما أشرنا آنفاً - وأكّده بالتوكيد التراتبي في الجملة إذ أقحم شبه الجملة (بِمَقَامِهِ) بين لفظ (النّاس) المتكرّر المرتين كما هو بيّن في قوله السابق ، لأنّه يعطي دلالة ميزان العدل الإلهي في اصطفاء النبي والمقام لهم منه ، واختيارهما ، وكالآتي في الرسم :

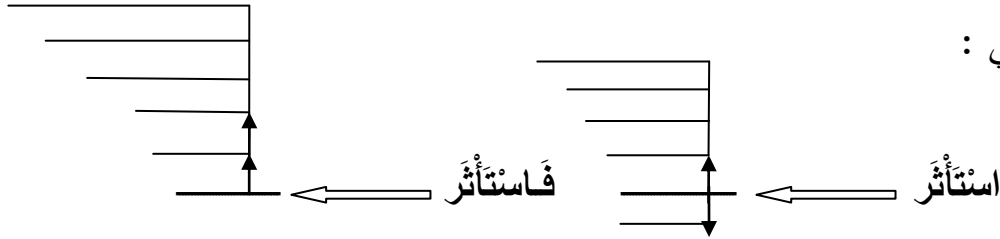


ولينبئ بأهمية المقام إذا كان فيه (أَهْلُهُ وَأَوْلِيَاؤُهُ وَأَوْصِيَاؤُهُ وَوَرَثَتُهُ) في تحقّق المساواة والعدل بين الناس كافة. !، لأهمية المقام الحالي والقولي هنا كرّر (النّاس) مرتّين في موضع الإيجاز ، لأنّ الحصر الدلالي المشار إليه سابقاً له بُعد دلاليّ آخر ألا وهو دلالته إلى العموم والشمول والإطلاق لمقام النّبوة تناسقاً مع دلالة الحصر في شبه الجملة المتصدرة كتابه ، (على خلقه) أي للناس كافة أيضاً.

وهذه الاحتمالات كلّها حشدّها الإمام في بنية إيجازه ليثير انتباه قرّائه ويشدّهم إلى تتابع سير الأحداث التي آلت بالأمة ؛ من حيث انحراف القيم والأخلاق والفساد السياسيّ

المستشري ، إذ سكبها في الفعل (استأثر) الذي هو موضع انتقال هذه الدلالات إلى سائر تراكيب نصّه ، فيستحيل الفعل نفسه مرآة عاكسة أخلاق خطّين : الأوّل : خطّ أهل المقام المحمّديّ ؛ والثاني : يمثل خطّ القوم الذي استأثر على أهل المقام ؛ حتى أنّ اجتماع صوت حرف (السين مع التاء) لا يأتي في العربية إلّا قليلاً إذا أتى فيفيد دلالة التعمية والغموض ^(٣٩)، إذّا توظيفه فيه قوى دلالة مطلب السياق ، بمجيء الفعل مزيداً منه (أ - س - ت) ، وأصله الثلاثي (أثر) أي ؛ استبد وأخذ ما ليس له بحقّ . وفضّل المفضل على الفاضل المستحقّ ، لذا نلحظ الإمام صدره أحرف مزيدة لدلالة تأكيد أخذ الحقّ الزائد على غير أهله.

قَبال هذا إنّ الإمام صوّر لنا معادلة محكمة تشير إلى المحذوف وهو (الطغيان) كما تبيّن آنفاً، ولم يتوقف عند هذا ، بل شكلها صوتياً بأصوات حركات وزن بنية (الفعل) ، فنلحظ الآتي :



إنّ التصاعد الصوتي الذي كوّنته ترددات النبر المقطعي ، جسّد الطغيان بأقوى صورة صوتية تمثّل فيها انقلاب القيم والانحراف بدرجة (٣٦٠) ، فدلالة الكسر تدل إلى إنكسار بيضة الإسلام ، بل انمحت معالمه ، فعندما علا صوت الطغيان ، خلال دخول الفاء الفصيحة التي أحالت همزة القطع المكسورة إلى وصل.

وهذه الصورة تتجلّى فيها سعت الانحراف والفساد والسقوط في المجالات قاطبة، الذي أتى به القوم الذين كشفهم الإمام بقوله : (فَاسْتَأْثَرَ عَلَيْنَا قَوْمُنَا بِذَلِكَ) ، وهذا يثبت ما قلناه عن مركزيته في استقطاب تبئير تشظي دلالات (أهل الطغيان) تجاه الرؤية المركزية لبنية النص ، والتي تقابل (أهل الحق الإلهي والمقام المحمّديّ) ، ولقد ارتشفها

^{٣٩} - تنظر : الموسوعة العربية العالمية ؛ باب التشفير : ص ١٢ .

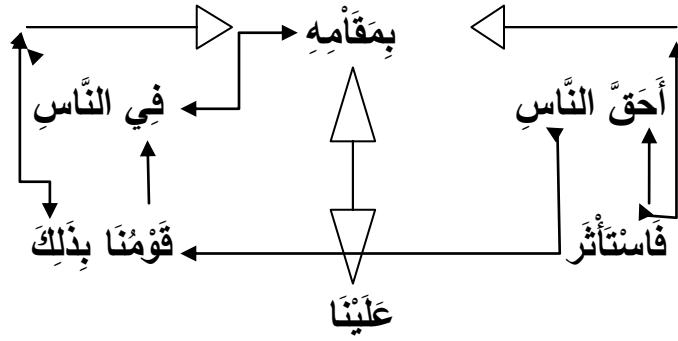
الإمام من رحيق الدلالة الصوتية القرآنية ؛كقوله تعالى: ﴿تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾^(٤٠) الواقعة في (ضِيزَى) .

والإمام حينما أدخل (الفاء الفصيحة) أراد أن يعطي دلالة بلوغ الطغيان حدَّ أن الحقَّ أضحى لا يسمع له صوت بفعل إفصاحها عن الفعل المحذوف (طغى) لينتبت استواءه صوتياً عندما أدّت (همزة الوصل) وظيفتها المكانية والدلالية ومعالجتها العلة الصوتية ، ووصلها (الفاء) المفتوحة بـ(السين) الساكنة ، ولتنبئ بتوغّل الطغيان إلى مفاصل الإسلام ، وحياة الأمة كلّها ؛ صغيرها وكبيرها من خلال ما رصفه الإمام من وحدات صوتية طويلة تدلّ إلى (الانتشار - الواسع للطغيان)؛ وأخرى قصيرة تلاشت بدخول الفاء الفصيحة تشير إلى انطماس صوت الإسلام الحقّ ، وهذا الفرق حقّق لنا التصوير الدلالي الذي وظّفه الإمام ~~عليه السلام~~ ، مع ما أعطاه من تنعيم إيقاعيّ تداخل دلاليّاً في الصوت القرآنيّ .

وإذا رجعنا إلى قوله: (فَاسْتَأْثَرَ عَلَيْنَا قَوْمُنَا بِذَلِكَ) ، نلاحظ الإمام قد صور تأكيد الحقّ المغتصب حصراً تركيبياً بعد إجرائه الإنزياح المكاني فيه ، فوضع شبه الجملة (عَلَيْنَا) بين الفعل وفاعله بعد تأخيرها ، ليفيد دلالة الحصر التراتبي بثبوت استلاب مقام وصاية النبوة وولايتها منهم ، مع تعضيده هذه الدلالة بالإضافة الواردة في اتصال الضمير العائد إلى (أهل البيت عليهم السلام) مع الفاعل نفسه ، ومن ثمّ أتبعه باسم الإشارة المتصل بـ(باء البدلية) من المقام المحمديّ ؛ (بِذَلِكَ) الذي يعود إلى المقام أيضاً ، بدلالة الإشارة إلى الشيء البعيد ليناسب مطلب سياق مضمون الحصر المترتب آنفاً ، أي مع الحقّ المبعد عنه أهله ، إذ إنتقاؤه كان دقيقاً ومستمدّاً من قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾^(٤١) ، لأنّه تعالى في مورد نفي الريب عنه فاستعمل إشارة البعيد...!

وإذا دقّقنا النظر ثانيةً في الجملتين ؛(أَحَقَّ النَّاسُ بِمَقَامِهِ فِي النَّاسِ) ، و (فَاسْتَأْثَرَ عَلَيْنَا قَوْمُنَا بِذَلِكَ) ؛ سيتبين المعنى جليّاً من خلال الرسم الآتي :

^{٤٠} - النجم : ٢٢ .
^{٤١} - البقرة: ٢ .



وهنا تظهر جمالية تقابله غير المباشر الذي عبر عنه السياق ^(٤٢)، نلمح عبر هذه الهندسة التي شكّلها الإمام في نصه لم تأت من فراغ ، وإنما جاء بها ليرسخ في ذهن المتلقي سعة سريان الفساد ومشتقاته ، ويبدو لنا أنّ هذا الرسم لا يحتاج إلى تعليق فهو يعبر عن نفسه ، خلا إشارة واحدة هي كيفية رجوع دلالات ألفاظ الجملتين جميعها إلى (بمقامه) ومن ثمّ التبادل الإشاري مع شبه الجملة (علينا) العائد إلى (أهل البيت) ، نجد الإمام وضعهما في مركز تراتبي معادل متوسط الجملتين ، ففي الأولى بين التكرار اللفظي كما هو واضح ، وفي الثانية بين الفعل وفاعله ، وكلاهما جاء بهما (شبه جملة) ، والتناسب واقع كما نرى بمستوياته كلّها...!

ثمّ أنّه ذكر (القوم) الذي (استأثر) ، ولم يذكر اسماً بعينه ، لعدم أهمية ذكره بقدر ما لبيان الحقّ المغتصب ، والانحراف السائد ، وبسبب ضياع الحقّ نفسه على أيدي هؤلاء القوم ، ولضرورة السرية التي جعلت الكتمان شيئاً مهماً في أثناء مباشرة الإمام كتابة نص رسالته ، وفي الوقت نفسه أنّ مفردة القوم تختص بـ(الرجال) من دون (النساء) وفي عصر إمامته إنّ هذه الدلالة واضحة عند أصحابه ، لأنهم يعلمون أيّ قوم قصدهم ويعنيهم ويشير إليهم .

ويحتمل أن يكون مقصده إلى القوم على الإطلاق بإعتبار المشاركة في أخذ حقّ المقام من (أهل البيت) عن طريق مساعدة بني أمية.

وبعد هذا يأتي كلامه ليعبر عن النتائج التي لا يحمد عقباها متجسّدة بالانحراف الشامل في مفاصل الأمة التي أضحت تأكل الأخضر واليابس وتقلب الحقّ باطلاً والعكس صحيح ، وراحت تنهش جسد الأمة وروحها وهذا كلّ سببه أنّ المقام صار ليس

^{٤٢} - ينظر : الإسلام والأدب : ص ١٣٩ .

بيد أهله ، ثم فقال: (فَرَضِينَا وَكَرِهْنَا الْفُرْقَةَ وَأَحْبَبْنَا الْعَافِيَةَ) ، فالجمل الفعلية المتعاطفة على بعضها تحمل دلالة الضدية ،وجملة (فَرَضِينَا) لا الرضا النابع عن قناعة قلبية ، وإنما يدل إلى تقابل ناقص غير مكتمل بثَّه الإمام فيها ، بمعنى أنَّ القوم الذين لم يصرح بهم (رفضوا) إعطاءنا حقنا في خلافة رسول الله ، بقرينة أنَّ هذه الجملة الفعلية ناقصة من المفعول به حذفه الإمام لكي يدل إلى أنَّ (رضاهم) لم يكن تمام القناعة في نفوسهم ﷺ فقابل بين (الرضا) وضده (الرفض) دلاليًا عبر حذف الطرف الثاني لوجود القرينة التي يحملها الطرف الأول لإلفات القارئ له ، وأكد الإمام بعطف جملتين تحملان الدلالة نفسها على هذا التقابل الناقص الحامل لدلالة اختلال القيم والمبادئ ، عن طريق التقابل التام الذي جاء تضادياً لتقابل تام حذفه الإمام لدلالة المذكور إليه وهو من أبلغ أنواع التقابل في الجمالية النصية البلاغية ونهاية الإيجاز^(٤٣)، وهما في قوله: (وَكَرِهْنَا الْفُرْقَةَ وَأَحْبَبْنَا الْعَافِيَةَ) وهدف الإمام فيهما هو تعزيز تبريره (رضاهم) وتقوية حجته تجاه المتلقي القارئ لكتابه ، ولرفع اللثام عن يدعي أهليته المقام النبوي ، ك(بني أمية) وبيان التقابل المحذوف قبل المذكور هو الآتي :

<u>أهل المقام - ط ١/المذكور</u>	<u>القوم - ط ٢/المحذوف</u>
(كَرِهْنَا الْفُرْقَةَ)	← (أَحْبَبْنَا)
(أَحْبَبْنَا الْعَافِيَةَ)	← (كَرِهْنَا)

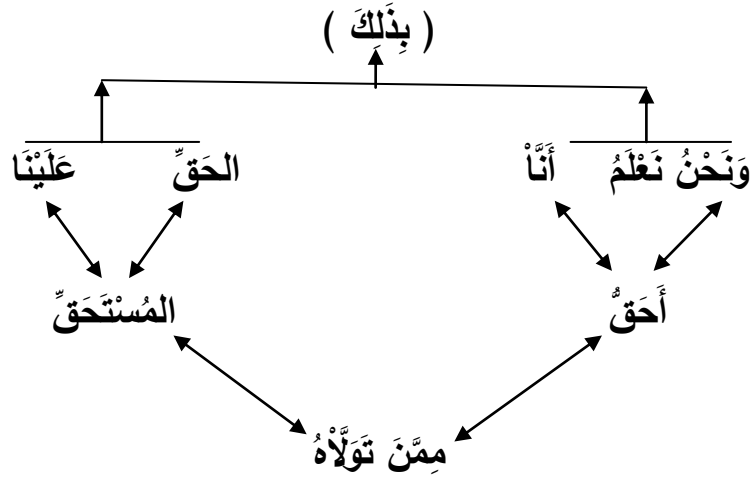
وفي الطرف الأول قام الإمام بإضافة الضمير المتصل (نا) إلى الفعلين ، ليكون في موضع الفاعلية العائدة إليهم التي دلَّ إليها هونفسه (نا) ، إذ أشغل وظيفتين في برهة واحدة ، الأولى: تأكيدية ، والثانية : ثبوتية^(٤٤)، وكذا الحال عند المفعولين في الجملتين وهما: (الْفُرْقَةَ) ، (الْعَافِيَةَ) إذ قرن الإمام كليهما ب(أل) التعريفية التي تفيد التخصيص والإستغراق ، لأهليتهم في الحفاظ على شمل الأمة ووحدتها وبثَّ روح الإنسانية والتسامح وحبَّ الخير بين النَّاس، وهذا التخصيص في عمقه الدلالي ووظيفته التراتبية إنصهار مع

^{٤٣} - ينظر : التقابل الجمالي في النص القرآني : ص ١٥٦ .

^{٤٤} - ط : في جمالية الكلمة : ص ١١٩ .

العطف بين الجمل الذي يؤدي الترابط والتماسك وقوى التأكيد المساق في جمل الكتاب السابقة بما انطوت عليه من نكات جمالية بانث في أثناء التحليل التأويلي.

وبعد هذا عرّج الإمام ليقرع أسماع متلقيه بـ(الجملة التأكيدية الكبرى) في كتابه كلّ ، والذي يمحّص النظر يجد أنّها (العقدة) الفريدة التي توسطت قلب بنية نصّه ، إذ إنّها حملت قلب الغرض الرئيس الذي كان سبباً في نسجها اللفظي والمعنوي معاً لإيصاله إلى المتلقي بصورة هندسية خلّابة تثير مكانه وتهزّ كينونة ضميره ، وتنشط حميّه على الدين الحنيف ، بهكذا جمال تعبيرى غاية في دقة البناء وحذاقته وفي تشكيل العمارة التركيبية المحكمة التي تقدح خلد المتلقي للوهلة الأولى ، ناهيك عن الإيجاز الجميل ، وهي قوله: (وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّا أَحَقُّ بِذَلِكَ الْحَقِّ الْمُسْتَحَقِّ عَلَيْنَا مِمَّنْ تَوَلَّاهُ) ، لقد شحنها الإمام بالأبعاد الدلالية للمؤكدات السابقة كلّها، ومن ثمّ حقّقت تأكيد التأكيد لفحوى الغرض الرئيس عنده ~~التي~~ وكما في الرسم الآتي :



يا لجمال هذا البناء الهندسي...!، الذي اكتنزت شرائح دلالية مركزية مهمة جداً بين أثنائهِ الجوهرية وطيّاته العرضية ، وهو يرسم لمتلقيه قسطاساً مستقيماً بنائياً وإشارياً ، له كفتان متساويتان في الوزن لم ترجح واحدة على الأخرى ، فالأولى: فيها ضميران يتوسطهما فعل المعلوم والمغذية دلالياً وتراتبياً مشتق منبغ الحق التالي عليها مباشرة ، من قطب ارتكاز الكفتين وهو اسم الإشارة (بذلك) الذي يعكس التبادل الدلالي بين (المقام = و = الحق) ، وكأنّ الإمام أراد أن يرسّخ عمق علاقتهم بالحق والمقام من خلال

حصر (أَحَقُّ) بين (وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ) ؛ (بِذَلِكَ الْحَقِّ الْمُسْتَحَقُّ) لتترشح من هذا القصر التراتبي دلالة منبع اشتقاقهم من الحقّ فصاروا منه وله وإليه. ! ، أما الثانية: ففي الترتب نفسه إذ توسط (المُسْتَحَقُّ) بين (الْحَقِّ) ؛ (وَعَلَيْنَا) ، والحقّ جاء معرفاً بـ(أل) التي يتجسّد فيها التخصيص والعهدية بوصفها متصلة بمصدر لتثبيت التأكيد التأبيدي الذي تحمله هذه الجملة الإستثنائية ، أمّا شبه الجملة (علينا) فأفادت التأكيد التراتبي والإضافي بين الجار والمجرور، ثمّ لو تنبهنّا إلى الوزن الإشتقائي لفردة (المُسْتَحَقُّ) المشتق من (الحق) والتي تحمل احتمالات كثيرة ، أهمّها: دلالتان ؛ البلاغية لإفادتها معنى الكثرة والتكاثر والتعظيم ، ومنها انبثقت أختها التي أعطت معنى الأهلية والإستحقاق ، وكلتاها تعززان ملازمة التقابل الإشاري تجاه الاسم المشتق (أَحَقُّ) من حيث تقابل الأهلية والإشتقاق بالمصدر (الحق). وعلى الرغم ممّا أدته مفردات الجمل السابقة مجتمعة من تأكيد ، إلّا أنّ الجملة السابقة كوّنت تأكيداً آخر عن الطريق الإضافة المتشعبة علاقةً بين (الحق + المستحق+علينا) بفعل الخط الدلالي الرابط هذه الجملة بسابقتها: (وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ أَحَقُّ) كما هو بيّن في شكل الرسم.

ثمّ إذا أرجعنا البصر كرةً إلى قول الإمام : (فَاسْتَأْثَرَ عَلَيْنَا قَوْمُنَا بِذَلِكَ) سنرمق تقابلاً دلالياً جميلاً أجراه ~~الخط~~ بينه وبين قوله: (وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ أَحَقُّ بِذَلِكَ الْحَقِّ الْمُسْتَحَقُّ عَلَيْنَا) ، وفحواه الدلالي أنّ الإمام في حديثه عن مظلومية سلب المقام منهم آخر اسم الإشارة ، المجرور الدال إلى البعيد - كما ذكرنا سالفاً- فعبر عن إبعاهم منه بالتراتب التركيبي الدال إشارياً. في حين عند حديثه عن الحقّ المستحقّ وسّطه حصرياً بين المشتق ومصدره ؛ و(الباء) الملازمة للإشارة مرتين هي نفسها المتصلة بالمقام، التي ترشّحت منها دلالة البدلية منه.

وبعد هذا قام الإمام بحذف المضاف إليه التالي للمشتق وتقديره : (أَحَقُّ النَّاسِ بِذَلِكَ الْحَقِّ) وتستقيم كما في سابقتها (أَحَقُّ النَّاسِ بِمَقَامِهِ) إلّا أنّ حذفه حتى لا يكون هناك فاصل بين (أَحَقُّ بِذَلِكَ الْحَقِّ) فيختل بناء دلالة التركيب الهندسي الذي يريد من ورائه تأكيد إرتباطهم بمقام الرسالة المحمّدية ، وهذا غاية إقتصاد الإيجاز بمطابقته متطلبات السياق بنوعيه التركيبي والمضموني.

وهناك تقابل على المستوى الوزن الإشتقائي الذي يبدو لنا قد لخص التقابلات المتعددة ، ألا هو الحاصل بين الفعل (فاسْتَأْثَرَ) والمشتق (المُسْتَحَقُّ) وكالاتي :

(اسْتَأْثَرَ ← استفعل) مزيد ثلاثي

(المُسْتَحَقُّ ← مستفعل) مزيد ثلاثي

وأهمية هذا التقابل هي لإلفات ذهن المتلقي القارئ إلى هذين الخطّين ، كلّ بموقعه في جملته وما يشكّلانه من إيقاعٍ توازني فيشده إليهما أيضاً. كما أنّ هناك تقابلاً تركيبياً إنزياحياً وظّفه الإمام بينها، إذ قدّم الفعل (استأثر) على جملته بعد حذفه الفعل (طغى) الذي أفصحت عنه (الفاء) ، فتجاوب مع الدلالة المركزية عنده ، أمّا المشتق (المُسْتَحَقُّ) فجاء برتبته بحسب المنطق اللساني ، ليرشّح في ذهن قارئه أنّ الحقّ إذا كان في يد أهله المستحقين له ، فإنّ النظام سيستقيم في المجالات كلّها. لذا نلاحظه تدرّج بآلية تشغيل التقابلات بين الجملتين، بدءاً بتقابل المفردات وختاماً بتقابل تراتبهما .

فضلاً عن ذلك أنّ إنزياحات التقديم والتأخير الحاصلة آنفاً ، تعضد رؤيته وتقوِّبها في صيرورة صورة أهل الحقّ مستقرة في وجدان القارئ وضميره ليتهيأ قلبياً وذهنياً لنصرته فيما بعد.

ثمّ نجده قد ذيل جملة التأكيد الكبرى : (وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ أَحَقَّ بِذَلِكَ الْحَقِّ الْمُسْتَحَقُّ ، مِمَّنْ تَوَلَّاهُ) ، بجملة المفضل المقصود بتلك المقارنات كلّها لأنّه القطب والمسبب إلى ما آلت إليه الأمور ، وهي : (مِمَّنْ تَوَلَّاهُ ..؟!) ، لتكون النتيجة التي قدّمها الإمام لقارئه مفادها أنّ اختيارالله لهم لإمامة مقام النبي هو الأحقّ بتولّيه بدليل دخول (مِنْ) الجارة عليه (مَنْ تَوَلَّاهُ) التي لا تدخل إلا بين الفاضل : (أَحَقُّ) الذي وقع خبراً^(٤٥) ، والمفضل الذي أُشير إليه بـ(مَنْ) العاملة التي وقعت استفهاماً إنكارياً عليه ، لينشط تفكير قارئه ويكسر الجمود عنده متأملاً، مَنْ هذا الذي لم يصرح الإمام باسمه... لحتمية الظرف المُكْتَم ؟! ، ولم يقرن ذكر المقام... بعده ؟.. واستعاض عنه بالضمير الظاهر ، لأنّه أعرف المعارف ، وأقواها حجة في هرّ نفوس قرائه وشدّها وإلفاتها.

^{٤٥} - ينظر : المعجم الوافي في النحو العربي : ص ١١٩ وما بعدها .

فضلاً عن فائدة هذه الوظيفة في دلالتها النحوية، فهناك أخرى لا تقل عنها أهمية ، وهي دلالة الحصر التي أبانها الإمام من خلال وضعه الفعل (تَوَلَّى) بين الإستفهام والضمير الذي يأخذ خَلَدَ المتلقي باحثاً عن معلّقه ، أي ؛ (المقام المحمّدي) ، ويعدّ هذا الأسلوب من أعلى درجات البلاغة وأجملها في اشتغال الخطاب الحجاجي^(٤٦) ، لما يمارسه من وظيفة إقناعية ، يكشف في الوقت نفسه عن الحالة النفسية والصدمة الفكرية^(٤٧) والوضع الاجتماعي المتأزم الذي مرّ الإمام به باتساع رقعة أهل الباطل وهيمنتهم المستبدة الظالمة على كلّ ما هو إلهي وإنساني .

وهذا الحصر للفعل في الوقت نفسه ، فيه إشارة لطيفة إلى آيتين في نصّ القرآن الكريم ، هما قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ۝ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مِنْ **تَوَلَّاهُ** فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾^(٤٨) ، فالإمام الطيّب^(عليه السلام) أوجزهما، وكثّفهما بالفعل (تَوَلَّاهُ) إذ إنّه ورد في التعبير القرآني مرّة واحدة .!، فلا يذهب ذهن أصحابه إلّا إليه فجاء به محصوراً تركيبياً ، ليظهره إشارياً لهم لأنهم من الخواص ويعلمون الإشارة من الإمام التي يحتملها السياق المُكتمّ ، ومضمون الآيتين واضح ومندمج مع غرضه تجاه أصحابه في خطاب كتابه.

وهناك نكتة أخرى أكّدها الإمام في الحصر المتحقق تراتبياً للفعل (تَوَلَّى) هي التخصيص الواقع وتأكيده من دون ذكر اسم الفاعل صراحة ، ليعطي قارئه ومضة نهضة واستنفار ، فحواها أنّ الظرف الحالي والقولي ، ليس في مقام ذكر أسماء ومنجزات وإطباب حديث ، وإنما المقام مقام أفعال ومواقف في هذا الوضع الحساس الذي يمرّ بالإسلام حينئذٍ ، لذ نلمحه أكّد دلالة الرؤية هذه في الجمل المتعاطفة التي حملها الإلتفات المتحقق في أسلوب الإنتقال من الخطاب بنبرة الإفرادية ، إلى الحديث الجمعي والجماعي تناسقاً وتناسباً مع الدلالة المركزية في لممة الشمل لنصرة كتاب الله وسنّة نبيّه محمد ﷺ ولمقارعة الظلم والطغيان ولتهيئة أذهان أصحابه لإستعاب مطلب الغرض واستجابتهم له الذي من أجله أرسل كتابه.!. فجاءت هذه الجمل بصورتها المتجاوبة مع السياق الزمكاني في قوله: (**وَقَدْ أَحْسَنُوا وَأَصْلَحُوا وَتَحَرَّوْا الْحَقَّ...**) ، نلحظ الإمام مؤكّداً أفعال هذه

^{٤٦} - ط : النص الحجاجي العربي ؛ دراسة في وسائل الإقناع (بحث) : ص ٥٦ .

^{٤٧} - ط : النقد الجمالي في النقد الألسني (بحث) : ص ٢٠٠ .

^{٤٨} - الحجّ : ٤-٣ . و ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ؛ م . ولي .

الجملة الخبرية المثبتة بحرف التوكيد (قَدْ) الذي يفيد معنى تحقق وقوعها ، ويدلُّ إلى قريب الماضي^(٤٩)، من الحال المقاميّ فبتوظيفه أدّى هاتين الفائدتين ، ونجد توظيف حرف التوكيد نفسه في نداء أذان إقامة الصلاة ، هو (قَدْ قامتِ الصَّلَاةُ) إذ أَوْماً إلى أصحابه وألمح..إلى أنّه نداء استنفارٍ لنصرة دين الصَّلَاة ، عبر هذا الإستعمال الرمزيّ المحمّل بالطّاقات الفنّية والجمالية كلّها.

وكذا الحال لم يورد أسماء فواعل الأفعال ، كما نلاحظه في الوقت نفسه قد عمد إلى المفعول به فحذفه من الجملة الأولى والثانية وذكره في الثالثة ، لا للتوظيف البلاغيّ ولغاية الإيجاز فحسب ، بل هو وسيلة يعلم متلقيه بها ويخبرهم بأنّ مقتضى الحال هو مقام عمل واجتهاد -كما أشرنا سالفاً- مثلما كانت مواقف الماضين وأفعالهم وأعمالهم تجاه الحقّ ونصرة أهله ، وهذا الذي عبّرت عنه البلاغة بحذف لعدم اهمية ذكره ، ولعدم تعلقه بالغرض^(٥٠). أما ذكر المفعول به في الثالثة (الحقّ)، فلأنّهُ هو الغرض الرئيس ، و الهدف الأساس من وراء شحذ الهمم ، إذ أراد أن يلفت إنتباههم إلى أنّ الماضين (أحسنوا و أصلحوا و تحرّوا) لأجل (الحقّ) ؛ بدلالة الفعل (تحرّوا) إلى التّوخيّ والعمد مع تجاوب صوت (الراء) المضعّفة فيه عمق المعنى كثيراً ؛ أي : توخّوا وعمّدوا^(٥١)،تجاه الحقّ بجديّة العمل والتضحية في سبيله.

وهنا إشارة أخرى من الإمام إلى أصحابه نحو القرآن لإستبيانها في قوله تعالى: ﴿وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ۝ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۝ وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا ۝﴾^(٥٢)، فكثّف هذه الآيات الثلاث في فعل واحد (تحرّوا) الذي جاء في القرآن مجيئاً يتيماً لمرة فقط.

وأنّ هذه الآيات قد جمعت الدلالة الأم بركائزها كلّها، من حيث(السببُ)، و(المُسببُ)، و(النتيجة) والمتلقي إن تأمل كاشفاً! ، سيلحظ مطلب الإمام جليّاً. إذ إنّهُ وضعه أخيراً مسنداً إليه (الحقّ) بحسب تتابع تراتب جمل الإلتفات الجمعيّ السابقة ، ليكمل بهذا..! الصورة التي تضمّنتها هذه الآيات الكريمات، تهيئة أذهان أصحابه للدخول في بوتقة طلب الغرض المركزيّ ؛

^{٤٩} - ينظر : المعجم الوافي في النحو العربيّ : ص ٢٣٠ .

^{٥٠} - ظ : دلالات الإعجاز : ص ١٥٣ . و ظ : نثر الإمام الحسين عليه السلام - دراسة بلاغية - (رسالة) : ص ١٢٣ .

^{٥١} - ظ : لسان العرب ؛ م . حرى .

^{٥٢} - الجنّ : ١٤-١٥-١٦ .

بأسلوب الدعاء المؤكّد ما قبله ، والخاتِم جزءٌ أوّل كتابه، وهو: (فَرَحَمَهُمُ اللهُ وَغَفَرَ لَنَا وَلَهُمْ) ، أكّد هذا الدعاء المضغوط دلاليّاً ولغويّاً ، الأفعال الماضية ، لِيُنْبَهَ الإنسانية عبر العصور إلى الذي (يحسنُ ، ويصلحُ ، ويتحرّى الحقّ) يشمله الله برحمته ، وغفرانه ، ولينبئ به بأنّ الله يرحم من ينصر دينه ويحسن سريره ويتوخّى الحقّ ، فسيستغفر له أيضاً ؛ والدرس الأخلاقيّ الآخر الذي يقدّمه لهم ﷺ ، وهو الصفح ومقابلة الإساءة بالإحسان والرحمة والعطف وهداية الضال إلى سبيلين محملاً وأكثر، وفي اللحظة نفسها يريد أن يطمئن أصحابه بخصوص صدوره منه لا من غيره ، بقرينة ذاتية هي أن الآخر لا يمتلك لياقة هذا الأسلوب ، بل شيمته التهديد والقهر والظلم والجور...!

وأنّ الدعاء كونه الإمام بشفرة الإشارة لوضعه لفظ الجلالة (الله) بين فعل الرحمة والغفران ، فالأول: قرن الماضين بالضمير المتصل (هم) ، وفي الثاني: وصله بذكر ضميرٍ عائِدٍ إليهم (لنا) وأجرى إنزياحاً آخرَ بموجبه شبه الجملة (لهم) ؛ لبلاغته في إظهار رحمته

للعالمين ، وتخصيص غفرانه له وحده لفراة المحسنين. ثمّ لو نظرنا إلى الضمائر فيها، سنجدُ توظيفها بنسقٍ جمعيّ متناسبٍ ومطلب سياق دلالة المعنى بين عالمية رحمته ومضمون غرض أصل بنية كتابه في تكاتفِ نصرَةٍ حقّ منبع الرحمة نفسها، إذ القصاص حياة. من هنا جاء بهذا النسق الدعائيّ ليعدّ النفوس ويجعلها تنكر أنانيّة ذاتها تجاه مصلحة الأمة والتفكير باسم الجماعة.

وهذا الأسلوب نابع من نسق المنظومة القرآنية بما فيه أسلوب الإلتفات، نحو قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٥٣)، وكذا الحال في شمولية بناء الشكل الجمعيّ ، كقوله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٥٤)، وهذا الذي كان قاصداً به في دعائه ﷺ في تعميق بؤرة مركزية دلالة المضمون الذي شحنه في بنية نصّه الإيجازي المكتّم.

وبعد هذا عدل ملتفتاً بنبذة خطابية تأكيدية إفرادية النسق وخطاب قصد به أصحابه ؛ إذ قال: (وَقَدْ بَعَثْتُ رَسُولِي إِلَيْكُمْ بِهَذَا الْكِتَابِ)، كان هدف الإمام من وراء هذا

^{٥٣} - البقرة : ٤ - ٥ .

^{٥٤} - العنكبوت : ٦٩ .

الإحكام في هندسة بنية جملة إفتتاحه الجزء الثاني ، هو إثبات صدور الكتاب منه إلى أصحابه ، وتحقيق الثقة الراسخة في نفوسهم ، والإيمان المتجذر القوي في قلوبهم ، لإبعاد فجوات التردد ، وثغرات الشك بنفي وثاقة صدور الكتاب من ساحته ، وبأنهم المعنيون به ، لذا فالجملة جاءت وهي محملة بشرائح توكيدية مكثفة ومتأصرة دلاليًا ، من حيث النسق الإفرادي الذي حمل الإلتفات الأخير في كتابه ، نلاحظه أدخل حرف التوكيد (قَدْ) على الفعل المبني للمعلوم (بَعَثْتُ) المتصل بضمير الرفع المبني على الضم (تُ)، الدالة إلى فاعلية الإمام من خلال اتصالها المباشر بالفعل ، إذ جعلته مبنياً والبناء بحسب المنطق يدل إلى الثبوت مع إضافتها إليه ، فيجتمع إشتغال (قَدْ)، ووظيفة (تُ)، لتأكيد واحدٍ ، مع مجيء المفعول به (رَسُولِي)، مباشرة المتصل إضافياً بـ(ي)، المتكلم وهو الإمام والتي يقصد بإضافتها إلى معرفة أو إلى نكرة ، زيادة التوضيح وإزالة الغموض والإبهام لكليهما (٥٥).

فإن هذه التراتبية الإتصالية بين أجزاء الجملة ، جعلتها مثبتة محضة بحسب الدلالة النحوية العاكسة على المعنى النسقي الدلالي للتوكيد ، ثم عيّنهم بخصوص تلقي الكتاب ، في قوله: (إِلَيْكُمْ بِهِذَا الْكِتَابِ)، فلو نظرنا إلى الجملة كاملة لألمحنا أنه أقحم شبه الجملة (إِلَيْكُمْ) بين رسولي و(بهذا) لإفادة حصر التعيين والتخصيص - كما أشرنا سابقاً- ليدل هذا الحصر التراتبي في نهاية الأمر إلى التأكيد، حد ثبوت الثبوت بوصفهم معنيين بالكتاب لاغيرهم.

وعلى الرغم من دقة الإمام في الإيجاز المكتّم ، نراه ذاكرةً شبه الجملة (إِلَيْكُمْ)، ولو حذفها لما اختل المعنى ولا نظام الجمل، ولكن أهمية تأكيد المورد وتخصيصه يوجبّه مطلب السياق (٥٦)؛ فضلاً عن هذا نلاحظ تأكيده لفظ (الْكِتَابِ) في الجملة باسم الإشارة (بهذا) الذي يحمل الدلالة للقريب ، والمجرور بالباء الدالة إلى المعوية والإلصاق، لتأكيد الكتاب، مع أنه جاء به معرفاً بـ(ال) التخصيصية العهدية والتعريفية معاً (٥٧)، إنَّ

٥٥ - ينظر : المعجم الوافي في النحو العربي : ص ٣٦٧ .

٥٦ - ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ج ١٠ - ص ١٧٥ .

٥٧ - ظ : المعجم الوافي في النحو العربي : ص ٤٧ .

هذا النوع من استعمال المؤكّدات وتوظيفها له علاقة وطيدة ووثيقة بمُسببات حذف ذكر الأسماء كلّها بما فيها اسمه الطاهر، لدواعي السرية والكتمان.

وبعدها أورد نصّ طلبه وعرّضه في قوله: (وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ) جاء ترتيب التركيب مؤكّداً ومعطوفاً على مؤكّدات الجمل السابقة، بما تحمله من معنى ومضمون ، لإفادة إثبات الارتباط بينه وبين الدعوة والمعنيين بها والمُرسل مع إقرار صدور الكتاب منه ﷺ إذ قام بتوظيف الضمير المنفصل (أَنَا) في الصدارة لأنّه غير مركب لا إضافة ولا كتابة ؛ ودلالة شكل رسمه فيها رمز الوقوف والإنظار وإثارة القارئ وترقّب الإستجابة السريعة العاجلة ، ولم يقل (أَنْي) وإن كان يفيد التوكيد إلّا أنّ فيه دلالة الإبطاء والإضطراب.

بعد هذا التأكيد كلّهُ، عمد إلى التأكيد بالفعل المضارع المبني للمعلوم (أَدْعُوكُمْ) الدال إلى الحاضر والمستقبل المستمر بقرينة مائدة دعوته (كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ) الأبديين، والمتصل بضمير الخطاب (كُمْ) المضاف إليه والعائد إلى أصحابه في شبه الجملة (إِلَيْكُمْ) لزيادة تأكيد خصوص الكتاب بهم والدعوة إليهم ، و (الميم) المتصلة بـ (كاف الخطاب) عملت وظيفتين؛ الأولى: خصّصت ضمير الخطاب بأصحابه جميعاً؛ والثانية: تجاوبها مع مطلب السياق بصوتها وشكلها من حيث دلالة الإنضمام والوحدة والتجمع والجماعة.

وإذا دققنا النظر في تراتب التركيب فالفعل (أَدْعُو) وقع بين ضميرين ، لينتج حصرٌ تركيبِيّ يعضد الدلالات السابقة في إثبات الدعوة ، ولإثارة فضول المعرفة عند أصحابه لما يحمله الفعل من إشارات محالة إلى النص القرآني ، وعند قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ^(٥٨)، وهناك إشارة أخرى محالة إلى حدث مهم واكب ولادة كتابه إليهم ضمّه الفعل (أَدْعُو) رمزياً ليدل إليه، لم يذكره لعلمهم به؛ هو خروج يزيد خاطباً بقومه بعد أن نصب رايات سوداً قائلاً لهم: (أدعوكم إلى سنّة عمر بن عبد العزيز..) ^(٥٩) كان لهذا الأثر العميق في نفسية الإمام؛ فعبر هذا الحصر التراتبي لـ (أَدْعُو) كثّف وأوجز واقتصد لغوياً مضامين الآية

^{٥٨} - يوسف : ١٠٨ .

^{٥٩} - ينظر : لسان العرب ؛ م . رجج .

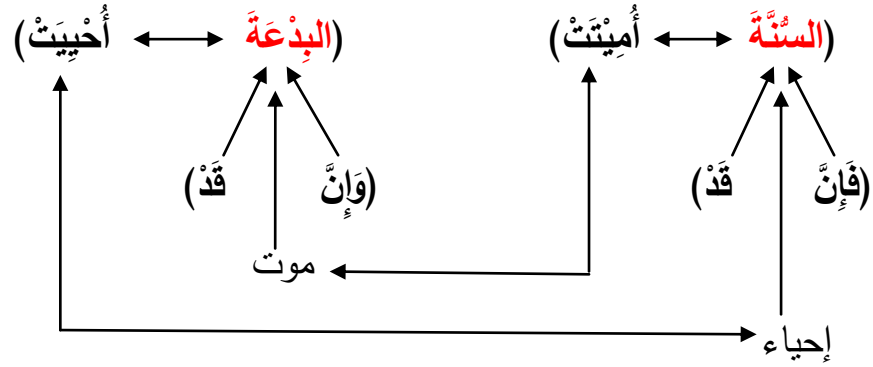
والحدث جميعها، لمراعاة المقام ولفهم متلقيه بوصفهم أشرافاً من علماء البصرة وأدبائها؛ وهذه هي غاية الإيجاز المكتّم وظّفه الإمام بجمالية فنية بدیعة.

لذا نجده مؤكّداً لأصحابه (الكتاب والسنة)، ومن ثمّ أطلق تقابله الذي يحمل النتيجة التي برّزت دعوته إليهم لمائدة القرآن والسنة المطهرة ، وهذا التقابل يشير إلى كشف تقابل تضادي مضمّر حذفه الإمام حمل قرينته هذا التقابل الظاهر المبني عند قوله: (فَإِنَّ السُّنَّةَ قَدْ أُمِيتَتْ ؛ وَإِنَّ الْبِدْعَةَ قَدْ أُحْيِيَتْ) ، وفي هاتين الجملتين إلتفت من الفعل المعلوم (بعثت...؛...أدعوكم..) إلى العدول للمجهول ، لحكمة بيّناها فيما سبق للمعلوم ؛ وسنحللها هنا للمفعول في وصفه حال (السنة)، وما يقابلها (البدعة) بنى الفعلين للمجهول (أُمِيتَتْ) وما يقابله (أُحْيِيَتْ) ؛ لأوجه نكات احتمالية أهمها الآتي:

أ- حذف الفاعل لعدم أهميته بقدر ما للسنة من شأن أكبر، وكذا الحال في فعل البدعة لخطورتها، فلجأ إلى البناء للمجهول .

ب- إنّ أصل الفعل (أُمِيتَتْ) ، (أُحْيِيَتْ) ، فعلان معاران مجازياً من واقع موت الإنسان وحياته ، كناية عن السنة المعطلة والتعاليم الإلهية المحرّفة ، جيء بهما لإثارة المتلقي نفسياً وفكرياً وتفاعلياً ونحوها في المشاركة لمعالجة انقلاب القيم والمبادئ ، لأنّ العرب إذا استغربت من شيء عبّرت عنه بالبناء للمجهول .

ج- حصر الإمام (السنة) ، و(البدعة) كلاهما بين مؤكدين (إنّ...قد) تركيباً ليثبت به تحقق الحدث دلالياً ولفظياً، ومن خلال آلية انتقائه هندسة حصر التركيب أن يقوم أصحابه بكشف المسكوت عنه المضمّر وراء التقابل التضادي الظاهر، ليتفاعلوا في اتخاذ موقف جدي مسؤول ، وهو مضمون غرض إرسال كتابه إليهم؛ ومعناه: (دعوتي إليكم لإحياء السنة التي قد أُميتت ، ولموت البدعة التي قد أُحييت) بآليات كتاب الله وسنة نبيّه ﷺ وأدواتهما..؛ فضلاً عن الإيقاع الموسيقي الذي ولّده التقابلان الظاهر والمضمّر في نقل الحدث متناغماً موسيقياً والمنسجم مع منظومة المتلقي العقلية وشبكته الثقافية؛ والتقابلان والمؤكدات في الرسم الآتي :



د- إن بناء الفعل للمجهول فيه نكتة عرفانية مهمة وجوهرية ، مفادها أن إسناد فعل (الحياة) وفعل (الموت) مختصان بفاعلية الله العلي القدير وحده ، فلا يمكن إسنادهما لغيره من بني البشر إلا من أذن هو له ، كنبى الله عيسى عليه السلام من الأنبياء والمعصومين؛ نحو قوله ﷺ: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾^(٦٠)، لذا بنى الإمام الفعيلين للمجهول تحقيقاً للفاعل من بعد حذفه وهم بنو أمية، وتقخيماً لجريمتهم النكراء. ومن بعد هذين التقابليين يعدل ملتفتاً من المجهول إلى المعلوم في جملته الأخيرة الحاملة التركيب الشرطي الذي يضم ثلاثة أفعال الأول والثاني للطلب والثالث لجواب الشرط ، بأسلوبٍ ترغيبيٍّ ومشوقٍ ؛ إذ يقول: (وَإِنْ تَسْمَعُوا قَوْلِي وَتُطِيعُوا أَمْرِي أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ) فإنّها جاءت معطوفة على جملة (طلب الدعوة) وهذا العطف جعلها مندمجة الإشتراك في تحقيق دلالة معنى الترغيب والتشويق المشروطين بإستماع القول وطاعة الأمر؛ الأحقين من حيث أصل الدعوة إلى (كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ) وعظمة صاحبها بوجودهما الأرضي والسمائي ؛ الوضعي والأزلي ؛ فلا موجود أعظم منهما...!.

وإذا دققنا النظر فيها وهي حاملة تركيب شرط غرض الإمام ونتيجته ستظهر لنا مجموعة نكات انطوت عليها وهي :

^{٦٠} - الملك : ٢ .

الأولى: استعمل (إِنْ) وهي أصل أدوات التوكيد ، وتوظيفها منسجم مع أصالة غرض الإمام ودعوته ، والعرب لا يستعملون غيرها ، وإذا استبدلوا بأخرى كانت نائبة عنها ^(٦١)، لذا صدرها أول جملته لمعرفة قيمتها عند أصحابه.

الثانية: إنه قدّم الفعل (تَسْمَعُوا) على الثاني (تُطِيعُوا) ليرسخ عندهم حُسن قوله النابع من معجزة جدّه الخالدة ، إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ^(٦٢). وليحصر به (تَسْمَعُوا) هذه الدلالة مع المصدر السماعي (الرشاد) الذي أضافه إلى المفعول الثاني لتأكيدهما مع مالهما من توافق دلالي فيما بينهما ختم به تركيب الشرط في كتابه.

الثالثة: جزم الفعل الثاني (تُطِيعُوا) عطفاً على الفعل (تَسْمَعُوا) من دون تكرار أداة التوكيد الأمّ (إِنْ) من أجل إبقاء التلازم التركيبي والتجاوب مع مطلب سياق الإيجاز المكثف، فضلاً عن ملازمة التوازي الدلالي بينهما أيضاً ^(٦٣). في الحصول على سبيل الرشاد.

الرابعة: ثمة إلماح إشاري إلى تقابل تضادي مضمر ، شحنه الإمام في الفعلين (تَسْمَعُوا) ؛ (تُطِيعُوا) ، هو أنّ إستماع الحقّ ، يقابله إستماع الباطل ؛ وكذا الطاعة أيضاً. ليعلم أصحابه بوجود النجدين من خلال رمز التقابل الظاهر.

الخامسة: نلاحظه أضاف (قَوْلِي) ، (أَمْرِي) إليه ، لينبئ بدلالة الجملتين المركزية ، بأنّها هي الأساس فيهما ، ومن أجلهما طلب الاستماع والطاعة؛ فضلاً عن هذا نجده حاصراً كلّ واحدٍ منهما بين (وَ) فاعل الجماعة الدالّ إليهم ، و(ي) ياء المتكلم العائد إليه ، ليعزّز الدلالة المذكورة من دون سريان الشكّ أو الريب فيهما عندهم.

السادسة: نحسّ وجود طاقة تنعيم إيقاعي ، أذابها الإمام عليه السلام في الجملتين ، ونشّم عطرهما ما إذا قمنا بالتقطيع النثريّ لهما ؛ وكالآتي :

^{٦١} - ينظر : التركيب الشرطي في النحو والأصول : ص ٥٠ .

^{٦٢} - الزمر: ١٧ - ١٨ .

^{٦٣} - ظ : المستويات الجمالية في نهج البلاغة : ص ٢٠٨ .

-- -- / -- -- ~ ~ -- -- / -- -- ~ ~
 وَتُطِيعُوا / أَمْرِي إِنْ تَسْمَعُوا / قَوْلِي
 مُتَّفَعِلْ مُتَّفَعِلْ مُتَّفَعِلْ مُتَّفَعِلْ

وإذا دققنا النظر إليهما نجدهما تقتربان من مجزوء الكامل الذي دخل على ضربه ،
 وعروضه الحذف المضمّر ^(٦٤)، فحصل فيهما تصريحٌ بالنقص ، وبقي الروي واحداً هو
 الياء ^(٦٥)، فالإمام سكب أسلوب خطاب الترغيب والتشويق لإصحابه في إيقاع موسيقي
 اعتادوه في ثقافتهم له الأثر العميق في نفوسهم ، ومتجاوب مع منظومة السليقة السائد
 في حياتهم ، لإثارتهم به لما يعطيه من دلالة التكامل ومنسجم مع الدلالة المركزية ومع
 توافق التوازي الدلالي بين الجملتين من حيث البنية الشرطية ومعنى الدعوة في البرهة
 نفسها.

وهذا التشكّل الإيقاعي وارد في الأسلوب القرآني كثيراً ^(٦٦)، في الآيات التي نزلت
 بشأن أمر عظيم ، وكان من وراء شحنه بطاقات التنغيم كسر حالة الجمود التي ربّما
 تصيب المتلقي ، وإثارة اهتمامه ، لأنّه أحد جوانب دلالات المضمون الأساس في بنية
 النص ؛ ومثال هذا ، عندما رُمي النبي ﷺ بأنّه (أبتر) أي ؛ لا عقب له ، نزل قوله ﷻ :
 ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ ^(٦٧)، وإذا قطعنا
 الآية الأولى سنحصل على تفعيلات تنتمي بأوزانها إلى البحر المتدارك (الحبب أوالمحدث)
 وتتنسب إليه ، إذ جاءت متناسبة ومتناغمة بحركتها الإيقاعية مع مضمون عطاء
 (الكوثر) الذي يدل إلى الخير الكثير ، وتأويلاتها متعدّدة بين المفسّرين.

السابعة: جاء فعل جواب الشرط (أَهْدِكُمْ) مجزوماً لتقدم فعل الشرط الطلبي عليه
 ، فالإمام وظّفه للإفادة من دلالاته النحوية في تأكيد تحقّق معناه؛ (الهدى والهداية)، بدلالة

^{٦٤} - ينظر : فنّ التقطيع الشعري والقافية : ص ١٠٧ ومابعدھا. الحذف: حذف الوند المجوع واسقاطه من آخر تفعيلة الضرب والعروض.

^{٦٥} - ط : نفسه : ص ٥٠ .

^{٦٦} - ط : موسيقى الشعر : ص ٣٠٠ .

^{٦٧} - ينظر: تفسير الفخر الرازي : ج ٣٢ ، ص ١٣٢ .

المضارعية المتضمنة الحاضر والمستقبل القريب والبعيد من جانب ، وبدلالة الجزم نفسه الذي يكتنه معنى القطع ويقين التحقق والمضي قدماً^(٦٨).

الثامنة: إِنَّ المفعول به الثاني (سَبِيلَ الرَّشَادِ) للفعل (أهدكم)؛ يضمّر تقابلاً متضاداً حذفه الإمام عن الذكر ، لأنّه معلوم عند المتلقي ، ومنتشر في محيط المجتمع ، هو (سبيل الغيِّ) والضلال؛ إشارة إلى فرعون عصره - يزيد - الذي عاث في الأرض فساداً وجوراً...!!؛ وإلماح إلى قوله ﷺ: ﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ۝ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾^(٦٩)، فالتقابل إذاً ظاهرٌ جليٌّ حَمَلَ ثنائيةً منسجمةً وموحدةً^(٧٠) مع ثنائية التقابل السابق بين (السُّنَّةِ) و(البِدْعَةِ) جيء بهما لتعزيد الدلالة المركزية وتقويتها.

وَمِنْ ثَمَّ يَخْتَمِ الإمام ﷺ كتابه الْمُوجِزَ الْمُكْتَمَ ، بتحية الإسلام السَّلام ؛ فيقول: (وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ...)، وينطوي على جملة من التَّكَاثِ الإشاريّة تكشف أهمّهما: أ - إِنَّهُ قد اكتفى بذكر جزئين من (السَّلام) وحذف الجزء الثالث منه؛ هو (وَبَرَكَاتُهُ) لوظيفتين أداهما (الحذف)، الأولى: إشعار أصحابه بالإخلال الحاصل في الدين وتقاليده السُّنَّة ومبادئ الإسلام وأعراف المجتمع؛ الثانية: إِنَّ رَفْعَهُ (وَبَرَكَاتُهُ) رمز كناية عن عدم وجودها بسبب الفساد المستشري في حياة الناس كافة.

ب - ختم الإمام كتابه بلفظ الجلالة في الجزء الثاني من سلامه (ورحمةُ اللَّهِ...)، كما ابتدأه بقوله: (فَإِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مُحَمَّدًا ﷺ) فتحقق حصر كتابه بين الموضوعين ، ليرسخ في أذهان أصحابه التوكّل على (اللَّهِ) أولاً وأخيراً؛ لإستمداد القوّة وشحذ العزيمة ورباطة الجأش ، وخصّ الحمية لنصرة الحقّ ، والتسليم له وحده ؛ إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾^(٧١).

ج - أراد بـ(السَّلام) دلالة الإطلاق والعموم والشُّمول لمضمونه كلّهِ ، من حيث سلامة الأُمَّة من أصناف الأمراض كلّها ؛ والعمل بسُنَّةِ جَدِّهِ بأداة الإصلاح لقوله الخالد: (وَأَنِّي

^{٦٨} - ظ : لسان العرب : م ، جزم .

^{٦٩} - غافر : ٣٧ - ٣٨ .

^{٧٠} - ظ : التقابل الجمالي في النص القرآني : ص ١٥٦ .

^{٧١} - الروم : ٤ - ٥ .

لَمْ أَخْرُجْ أَشْرًا، وَلَا بَطْرًا، وَلَا مُفْسِدًا، وَلَا ظَالِمًا، وَإِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلَبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةٍ جَدِّي ﷺ، أُرِيدُ أَنْ أَمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَسِيرُ بِسِيرَةِ جَدِّي وَأَبِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عليه السلام) (٧٢).

خِتَامُ الطَّوَافِ:

بانَتْ جمالية بنية إيجاز كتاب الإمام الحسين (عليه السلام) وتجلّت بعد أن جال التحليل التأويليّ آفاق سماء إنفلاقها من حيث المذكورات والمحذوفات والإشارات والمعطوفات والإضافات التي شكّلت الإيجاز مجتمعة ، فضلاً عن اكتنازها في الإقتصاد التركيبيّ ، والإختزال اللفظيّ ، والتكثيف الدلاليّ كلّ بصور توظيفه في مفاصل هندسة ترتيب بنيته الكلية ، بدءاً بكسر طوق التقليد الفنيّ في حذف بسملة الإستهلال واستعاضها بذكر الله مُبتدئاً وبصوت حرف (الباء - ب) الذي تلاًّ تسع عشرة مرة بعدد حروفها (٧٣)، بقلقلته النغمية ، ودلالته الإلصاقية البدلية ، تجاوب منسجماً وللغرض ملائماً (٧٤).

جاء العطف ملازماً للإضافة من أقوى جوانب الإيجاز (٧٥)، وأثبتها تأكيداً وتعريفاً ، إذ تماسكت البنية وانسجمت بحركة تفاعلها ، فلا يأتي العطف إلّا والإضافة معه. !، فشكلاً تناعماً إيقاعياً متأخياً ، مع توارّد تكرار صوت حرف (و) العاطفة والمستأنفة والفاعلة التي تدلّ إلى الإنضمام والإلتزام الجمعيّ في دلالة صورتها المكتوبة ، والحال هي مع صوت حرف (هه) في الإضافة بموقعه إتصلاً وانفصلاً ، أعطت معنىً رمزياً علاماتيّاً لمفهوم الوحدة والإئتلاف بهيأة شكل رسمها، مع احتفاظها بصوتها الهادئ المتوسط الجهر الموائم لشفرة غرض الإيجاز المكتم ، ووظيفتها الإشارية إلى متعلق المذكور ، وقرينة المحذوف امتزاجاً مع مطلب السياق والتعاقب مع العطف تتأسق التركيبُ نحو التواصل والإلتقاء في قارة الدلالة المركزية.

٧٢ - بحار الأنوار : ج ٤٤ - ص ٤٨٢ . وموسوعة كلماته : ٣٥٤ .

٧٣ - ينظر : تفسير الفخر الرازي : ج ١ - ص ١٧٨ .

٧٤ - ط : البلاغة الصوتية في القرآن الكريم : ص ٥٥ .

٧٥ - ط : خصائص التركيب : ص ٢١١ .

وَأَسَّسَ الْإِلْتِقَاتَ فِي هَنْدَسَةِ بَنِيَةِ نَصِّ الْكِتَابِ عُنْصَرًا إِيْقَاعِيًّا حَاضِرًا بَدِيلًا عَنْ غِيَابِ الْفَاصِلَةِ الَّتِي أَضْمَرَهَا الْكُتْمُ! وَفِي نَفْسِهِ مِرَاةٌ عَاكِسَةٌ شَخْصِيَّةُ الْإِمَامِ عليه السلام، فِي إِقْدَامِ إِيْرَادِ الْمَوَاقِفِ الصَّعْبَةِ وَإِقْحَامِ الْوَقَائِعِ الْعَظِيمَةِ ، إِذْ لَا يِقْتَحِمُهَا غَيْرُهُ وَيَرْدُهَا سِوَاهُ ، فَلُقِّبَ هَذَا الْأَسْلُوبُ بِـ(شَجَاعَةِ الْعَرَبِيَّةِ) لِأَنَّهُ أَمِيرُ جُنُودِ عُلُومِ الْبَلَاغَةِ وَأَجْلُّهَا وَالْوَاسِطَةُ فِي عَقُودِهَا وَقَلَائِدِهَا ^(٧٦).

وَكَثُرَتِ التَّقَابِلَاتُ الَّتِي تَزَاوَجَتْ مَعَ الْمُؤَكَّدَاتِ مَنْجَبَةً إِيْقَاعًا بَارًا لِلْفَاصِلَةِ أَيْضًا، وَسَبَّكَ رُؤْيُيَا حَنُونًا لِكَيْمِيَاءِ الْمَضْمُونِ الرَّئِيسِ ، فَنَصُّ الْكِتَابِ إِذَا هُوَ بِحَقِّ مُوجِّزٍ مَكْتَمٍّ وَلَا نَبَالِغٍ إِذَا أَسْمَيْنَاهُ بِـ(النَّصِّ الْجَامِعِ الْمُؤَسَّسِ).

^{٧٦} - يَنْظُرُ : الطَّرَازُ : ج ٢- ص ٧٠ .

مصادر الدراسة ومراجعها:

﴿ القرآن الكريم ﴾ .

أولاً: الكتب المطبوعة :

- الإسلام والأدب ؛ د.محمود البستاني ، المكتبة الأدبية المختصة ، قم المقدسة ؛ (د-ط) ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ .
- الأسلوب والأسلوبية ؛ د.عبد السلام المسدي ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ؛ ط ٥ - ٢٠٠٦ .
- الإيضاح في علوم البلاغة ؛ المعاني والبيان والبدیع ؛ للخطيب القزويني محمد بن عبد الرحمن (ت ٧٣٩هـ) - تد- بهيج غزاوي ، دار إحياء العلوم - بيروت ؛ ط ٢ - ١٤١٢ هـ - ١٩٩٣ .
- بحار الأنوار لدر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام ؛ الشيخ محمد باقر المجلسي ، تد- الشيخ علي الشاهرودي ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ؛ ط ١ منقحة - ٢٠٠٨ .
- البلاغة الصوتية في القرآن ، د.محمد إبراهيم شادي ، دار الرسالة - الشركة الإسلامية للإنتاج والتوزيع ؛ جامعة الأزهر ؛ ط ١ - ١٩٨٨ .
- تأريخ الأدب العربي ، صدر الإسلام وعصر بني أمية ، د. عبد الكريم العبد ؛ مركز اللغات - أكاديمية الفنون - (د-ط) ١٤٢٧ - ٢٠٠٦ .
- تأريخ الطبري ؛ تاريخ الأمم والملوك - محمد بن جرير الطبري أبو جعفر - دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ - ١٤٠٧ هـ .
- التراكم اللسانية في الخطاب الشعري القديم ، د. رايح يوحوش ، مكتبة الآداب ؛ القاهرة ؛ ط ١ ؛ ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ .
- التركيب الشرطي في النحو والأصول ، سعود بن عبد الزرجالي ، دار الفارابي ، بيروت ؛ ط ١ - ٢٠٠٨ .
- تفسير الفخر الرازي ؛ التفسير الكبير ، مفاتيح الغيب ، لمحمد الرازي فخر الدين بن العلامة ضياء الدين (ت ٦٠٤ هـ) ، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت ؛ ط ١ ؛ ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ .
- تفسير كنز الدقائق ؛ للميرزا محمد المشهدي (ت ١١٢٧ هـ) ، الناشر جماعة المدرسين ؛ قم المقدسة (د-ط) - ١٤١٠ هـ .
- التقابل الجمالي في النص القرآني ؛ أ.د. حسين جمعة ، منشورات دار النمر للطباعة والنشر ، دمشق ؛ ط ١ - ٢٠٠٥ .
- جماليات المقالة عند د.علي جواد الطاهر ؛ د.فاضل عبود التميمي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ؛ ط ١ - ٢٠٠٧ .
- حياة الإمام الحسين بن علي عليه السلام ؛ دراسة وتحليل ، باقر شريف القرشي ، تد- مهدي باقر ، قسم الشؤون الفكرية والثقافية ، العتبة الحسينية المقدسة ، ط ٢ ؛ ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ .
- خصائص التركيب ؛ دراسة تحليلية لعلم المعاني ؛ د.محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ؛ القاهرة ، ط ٤ ؛ ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ .
- الخطاب الحسيني في معركة الطف ؛ دراسة لغوية وتحليل ؛ د.عبد الكاظم محسن الياسري ، قسم الشؤون الفكرية والثقافية ، العتبة الحسينية المقدسة ، ط ١ ؛ ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ .
- دلائل الإعجاز ؛ الشيخ عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) - تد- محمود محمد شاكر ، دار المندي بجدة ، ط ٣ ؛ ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ .
- سيكولوجية اللغة والمرض العقلي ؛ د.جمعة سيد يوسف ، سلسلة عالم المعرفة - ت ١٤٥ المجلس الوطني للثقافة ، الكويت ، يناير ١٩٩٠ .
- صفحات من تأريخ كربلاء ؛ نظرة تاريخية وثائقية ؛ السيد علي أحمد العاملي دار الولاء للطباعة والنشر بيروت ، ط ٢ ؛ ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ .
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ؛ يحيى بن حمزة بن علي العلوي اليمني (ت ٧٠٥ هـ) - تد- د.عبد الحميد هندواي ، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ؛ ط ١ - ٢٠٠٢ .
- فنّ النقطيع الشعري والقافية ؛ د. صفاء خلوصي ، بيروت ، ط ٤ منقحة ومزودة - ١٩٧٤ .
- في جمالية الكلمة ؛ دراسة جمالية بلاغية نقدية ؛ أ.د. حسين جمعة ، منشورات اتحاد الكتاب العرب في دمشق ، (د-ط) - ٢٠٠٢ .
- الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ؛ لجار الله أبي القاسم محمد الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) - تد- الشيخ علي محمد معوض وزميليه ، مكتبة العبيكان - الرياض ، ط ١ - ١٩٩٨ .
- لسان العرب ، العلامة ابن منظور (ت ٧١١ هـ) ، تد- محمد الصادق العبيدي وزميله ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ٣ (د-ت) .
- اللغة والتفسير والتواصل ، د.مصطفى ناصف ، سلسلة عالم المعرفة - ت ١٩٣ المجلس الوطني للثقافة - الكويت ؛ يناير ١٩٩٥ .
- المستويات الجمالية في نهج البلاغة ؛ دراسة في شعرية النثر ؛ نوفل هلال أبو رغيث ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ؛ ط ١ ؛ ٢٠٠٨ .
- المصطلح النقدي في نقد الشعر ؛ دراسة لغوية تاريخية نقدية ، إدريس الناظوري ، دار النشر المغربية - الدار البيضاء (د-ط) ١٩٨٢ .
- معجم البلاغة العربية ، د. بدوي طبانة ، منشورات جامعة طرابلس ، كلية التربية ، ط ١ - ١٩٧٧ .

- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ؛ محمد فؤاد عبد الباقي ، منشورات ذوي القربى ، مطبعة أميران في إيران ، ط ٢ - ١٤٢٣ هـ .
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، د. أحمد مطلوب - مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، ط ١ ؛ ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ .
- المعجم الوافي في النحو العربي ؛ د. علي توفيق الحمد وزميله ، دار الآفاق الجديدة ، الدار البيضاء ؛ ط ١ - ١٩٩٢ .
- مقتل الحسين عليه السلام ، تد- العلامة السيد عبد الرزاق المقرم ، منشورات مؤسسة الخرسان للمطبوعات ، بيروت (د-ط) ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ .
- موسوعة أنصار الإمام الحسين عليه السلام غير الهاشميين ، حسين نعمة إبراهيم ، منشورات المحييين للطباعة والنشر ؛ ط ١ - ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ .
- موسوعة العربية العالمية ؛ قسم اللغة والمعاجم ، شارك مجموعة من العلماء في تأليفها ، المكتبة الشاملة الألكترونية ، موقعها على الشبكة العنكبوتية - <http://www.shamela.ws> .
- موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام ؛ أ. محمود الشريفي و زملائه ، معهد تحقيقات باقر العلوم عليه السلام ، دار الأسرة ، قم المقدسة ؛ ط ١ - ١٤٢٥ .
- موسيقى الشعر ؛ د. إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مطبعة لجنة البيان العربي ، ط ٢ - ١٩٥٢ .
- الميزان في تفسير القرآن ؛ للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ، منشورات الأعلمي للمطبوعات ، تد- حسين الأعلمي ، ط ١ - ١٤١٧ هـ .
- نفس المهموم في مصيبة سيدنا الحسين المظلوم ؛ المحدث الجليل عباس القمي ، قم ؛ منشورات المكتبة الحيدرية ، ط ١ - ١٤٢١ هـ .

ثانياً: الرسائل الجامعية :

- تأصيل الأسلوبية في الموروث النقديّ البلاغيّ ؛ مفتاح العلوم أنموذجاً ؛ ميس خليل محمد عودة ، ماجستير - جامعة النجاح الوطنية ، كلية الدراسات العليا ، قسم اللغة العربية ، نابلس - ٢٠٠٦ .
- التلقي للصحيفة السجادية ؛ دراسة تطبيقية في النقد العربي الحديث ؛ حيدر محمود شاكر ، ماجستير - جامعة البصرة ، كلية التربية ، قسم اللغة العربية - ٢٠٠٨ .
- نثر الإمام الحسين عليه السلام ؛ دراسة بلاغية ؛ ميثم قيس مطلق ، ماجستير ، جامعة القادسية ، كلية التربية ، قسم اللغة العربية - ٢٠٠٦ .

ثالثاً: البحوث المنشورة في الدوريات:

- التكوين الجمالي ؛ الصورة ومصادرها في قصيدة الخنساء ؛ د. عبد الكريم محمد حسين ، مجلة التراث العربي ، ع ١١٤ ، إتحاد الكتاب العرب في دمشق ، حزيران ٢٠٠٩ .
- النص الججاجي العربي ؛ دراسة في وسائل الإقناع ؛ محمد العبد ، مجلة فصول في النقد الأدبي ، مج ع ٦٠ - ٢٠٠٢ .
- النقد الجمالي في النقد الألسني ؛ قراءة لجماليات الإبداع وجماليات التلقي ؛ معجب الزهراني ، مجلة فصول في النقد الأدبي ، مج ١٥ ع ٤ - شتاء ١٩٩٧ .